تفسيرُ «سورةِ الرومِ»

بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ .

١٦/٢١ /**قال أبو جعفرٍ** : قد بيَّنا فيما مضَى قبلُ معنى قولِه : ﴿الٓمٓ﴾ . وذكَرنا ما فيه من أقوالِ أهلِ التأويلِ ، فأغنَى ذلك عن إعادتِه فى هذا الموضعِ .

وقولُه : ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ . **اختَلَفت القرأةُ فى قراءتِه** ؛ فقرَأته عامَّةُ قرأةِ الأمصارِ : ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ بضمِّ الغينِ ، بمعنى أن فارسَ غَلَبت الرومَ .

ورُوى عن ابنِ عمرَ وأبى سعيدٍ فى ذلك ما **حدَّثنا** ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن الحسنِ الجُفْرِىِّ ، عن سَلِيطٍ ، قال : سمِعتُ ابنَ عمرَ يقرأُ : (الم غَلَبَتِ الرُّومُ) . فقيل له : يا أبا عبدِ الرحمنِ ، على أىِّ شىءٍ غَلَبوا ؟ قال : على ريفِ الشامِ[1] .

والصوابُ من القراءةِ فى ذلك عندَنا الذى لا يجوزُ غيرُه : ﴿الٓمٓ ۝١

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٥٢/٥ إلى المصنف، وهى قراءة على وأبى سعيد الخدرى وابن عباس ومعاوية بن قرة والحسن ، وهى شاذة . البحر المحيط ١٦١/٧ .

غُلِبَتِ[١] ﴾ ، بضمِّ الغينِ ؛ لإجماعِ الحجةِ من القرأةِ عليه . فإذ كان ذلك كذلك ، فتأويلُ الكلامِ : غَلَبت فارسُ الرومَ ، ﴿ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ ﴾ : من أرضِ الشامِ إلى أرضِ فارسَ ، ﴿ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ ﴾ . يقولُ : والرومُ من بعدِ غلبةِ فارسَ إياهم ﴿ سَيَغۡلِبُونَ ﴾ فارسَ ، ﴿ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ ﴾ من قبلِ غلَبَتِهم فارسَ ، ومن بعدِ غلَبَتِهم إياها ، يقضِى فى خلقِه ما يشاءُ ، ويحكُمُ ما يريدُ ، ويُظهِرُ مَن شاء منهم على مَن أحبَّ إظهارَه عليه ، ﴿ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾ . يقولُ : ويومَ يغلِبُ الرومُ فارسَ يفرحُ المؤمنون باللَّهِ ورسولِه بنصرِ اللَّهِ إياهم على المشركين ، ونُصْرةِ الرومِ على فارسَ ، ﴿ يَنصُرُ ﴾ اللَّهُ تعالى ذكرُه ﴿ مَن يَشَآءُۖ ﴾ من خلقِه على مَن يشاءُ ، وهو نُصرةُ[٢] المؤمنين على المشركين ببدرٍ ، ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ﴾ . يقولُ : واللَّهُ الشديدُ فى انتقامِه مِن أعدائِه ، لا يمنعُه من ذلك مانعٌ ، ولا يَحولُ بينَه وبينَه حائلٌ ، ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ بمَن تاب مِن خلقِه وراجَع طاعتَه أن يعذبَه .

وبنحوِ الذى [٢/٥٨٤و] قلْنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ المثنَّى ، قال : ثنا[٣] محمدُ بنُ أسعدَ ، أبو سعيدٍ التغلبىُّ ، الذى يقالُ له أبو سعيدٍ[٣] ؛ من أهلِ طَرَسُوسَ[٤] ، قال : ثنا أبو إسحاقَ الفزارىُّ ، عن سفيانَ بنِ سعيدٍ

---

(١) بعده فى م ، ف : « الروم » .

(٢) فى ت١ : « نصر » ، وفى ت٢ : « بنصرة » .

(٣ - ٣) فى ص : « محمد بن سعيد أبو سعيد الثعلبى الذى يقال له أبو سعد » ، وفى م ، ف : « محمد بن سعيد أو سعيد الثعلبى الذى يقال له أبو سعد » ، وفى ت١ : « محمد بن سعيد الثعلبى الذى يقال له أبو سعيد » ، وفى ت٢ : « سعيد أبو سعيد الثعلبى الذى يقال له أبو سعيد » ، ولعل الصواب ما أثبت ، وينظر الجرح والتعديل ٢٠٨/٧ ، والثقات لابن حبان ٦٨/٩ ، وتهذيب الكمال ٤٢٩/٢٤ .

(٤) طَرَسوس : مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم . معجم البلدان ٥٢٦/٣ .

الثوريٌّ ، عن حبيبِ بنِ أبى عَمْرَةَ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كان المسلمون يحبُّون أن تَغلِبَ الرومُ أهلُ الكتابِ ، وكان المشركون يحبُّون أن يغلبَ أهلُ فارسَ ؛ لأنهم أهلُ أوثانٍ . قال : فذكَروا ذلك لأبى بكرٍ ، فذكَره أبو بكرٍ للنبىِّ ﷺ ، فقال : « أمَا إنهم سيَهزِمون » . قال : فذكَر ذلك أبو بكرٍ للمشركين . قال : فقالوا : أفنجعلُ[1] بيننَا وبينَكم أجلًا ، فإن غلَبوا كان لك كذا وكذا ، وإن غلَبنا كان لنا كذا وكذا ؟ قال : فجعَلوا بينَهم وبينَه أجلًا ؛ خمسَ سنينَ . قال : فمضَت ولم يَغلِبوا . قال : فذكَر ذلك أبو بكرٍ للنبىِّ ﷺ ، فقال له : « أفلا جعَلتَه دونَ العَشْرِ » . قال سعيدٌ : والبِضْعُ : ما دونَ العشرِ . قال : فغُلِب الرومُ ، ثم غَلَبت . قال : فذلك قولُه : ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ ١٧/٢١ . قال : البِضْعُ : ما دونَ العشرِ . ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ . قال سفيانُ : فبلَغنى أنهم غَلَبوا يومَ بدرٍ[2] .

حدَّثنى زكريا بنُ يحيى بنِ أبانٍ المصريُّ ، قال : ثنا موسى بنُ هارونَ البُرْدِيُّ ، قال : ثنا معنُ بنُ عيسى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الرحمنِ ، عن ابنِ شهابٍ ، عن عبيدِ اللَّهِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : لما نزَلت : ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ الآية ، ناحَب أبو بكرٍ قريشًا ، ثم أتى النبىَّ ﷺ ، فقال له : إنى قد

---

(١) فى ت١ ، ت٢ : « فنجعل » .

(٢) أخرجه البخارى فى خلق أفعال العباد (٩١) عن ابن المثنى به ، وأخرجه أحمد ٤/٢٩٦ ، ٤٩٠ (٢٤٩٥، ٢٧٦٩) ، والبخارى فى خلق أفعال العباد (٩٠) ، والترمذى (٣١٩٣) ، والنسائى فى الكبرى (١١٣٨٩) ، وابن أبى حاتم كما فى تفسير ابن كثير ٦/٣٠٤ ، والطبرانى (١٢٣٧٧) ، والحاكم ٢/ ٤١٠، وأبو نعيم فى الدلائل (٢٤٢) ، والبيهقى فى الدلائل ٢/٣٣٠ ، ٣٣١ ، وابن عساكر ١/٣٧٢ ، ٣٧٣، والضياء فى المختارة ١٠/ ١٤٤، ١٤٦ (١٤٤، ١٤٥) من طريق أبى إسحاق الفزارى به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/ ١٥٠ إلى ابن المنذر وابن مردويه .

ناحَبتُهم . فقال له النبيُّ ﷺ : « هَلَّا احْتَطْتَ ؛ فإن البِضْعَ ما بينَ الثَّلاثِ إلى التِّسْعِ » . قال الجُمَحِيُّ : المناحبَةُ : المراهنةُ ، وذلك قبلَ أن يكونَ تحريمُ ذلك[1] .

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ﴾ . قال : قد مضَى ؛ كان ذلك فى أهلِ فارسَ والروم ، وكانت فارسُ قد غلَبَتهم ، ثم غلَبت الرومُ بعدَ ذلك ، ولقِى نبىُّ اللَّهِ ﷺ مشركى العربِ يومَ التقَت الرومُ وفارسُ ، فنصَر اللَّهُ النبىَّ ﷺ ومَن معه من المسلمين على مشركى العربِ ، ونصَر أهلَ الكتابِ على مشركى العجمِ ، ففرِح المؤمنون بنصرِ اللَّهِ إياهم ، ونصرِ أهلِ الكتابِ على العجمِ . قال عطيةُ : فسأَلتُ أبا سعيدٍ الخُدْرىَّ عن ذلك ، فقال : التقَينا مع[2] رسولِ اللَّهِ ﷺ ومشرِكى العربِ ، والتقَت الرومُ وفارسُ ، فنصَرنا اللَّهُ على مشرِكى العربِ ، ونصَر اللَّهُ أهلَ الكتابِ على المجوسِ ، ففرِحنا بنصرِ اللَّهِ إيانا على المشركين ، وفرِحنا بنصرِ اللَّهِ أهلَ الكتابِ على المجوسِ ، فذلك قولُه : ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ﴾[3] .

حدَّثنى علىٌّ ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ : غَلَبتهم فارسُ ، ثم غَلَبت الرومُ[4] .

---

(١) أخرجه ابن عساكر ٣٧٠/١ من طريق معن بن عيسى به ، وأخرجه الترمذى (٣١٩١) ، وابن عساكر ٣٧٩/١ من طريق عبد الله بن عبد الرحمن الجمحى به .

(٢) بعده فى ص ، م ، ت١ ، ف : « محمد » .

(٣) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣٣١/٢ ، ٣٣٢ ، وابن عساكر ٣٧١/١ ، ٣٧٢ من طريق محمد بن سعد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٥١/٥ إلى ابن مردويه .

(٤) أخرجه ابن عبد الحكم فى فتوح مصر ص ٤٤ عن عبد الله بن صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٥٢/٥ إلى ابن المنذر .

حدَّثنى أبو السائبِ ، قال : ثنا أبو معاويةَ ، عن الأعمشِ ، عن مسلمٍ ، عن مسروقٍ ، قال : قال عبدُ اللَّهِ : خمسٌ قد مضَين ؛ الدُّخانُ ، واللِّزامُ ، والبَطْشةُ ، والقَمَرُ ، والرُّومُ[1] .

حدَّثنا ابنُ المُثَنَّى ، قال : ثنا عبدُ الأعلى ، قال : ثنا داودُ ، عن عامرٍ ، عن ابنِ مسعودٍ ، قال : قد مضَى : ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ إلى قولِه : ﴿أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ . قال : ذكَر غلَبَةَ فارسَ إياهم ، وإدالةَ الرومِ على فارسَ ، وفرِح المؤمنون بنصرِ الرومِ أهلِ الكتابِ على فارسَ من أهلِ الأوثانِ[2] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن أبى بكرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن عكرمةَ : أن الرومَ وفارسَ اقتتَلوا فى أدنى الأرضِ . قال : وأدنى الأرضِ يومَئذٍ أَذْرِعاتٌ[3] ، بها التقَوا فهُزِمت الرومُ ، فبلَغ ذلك النبىَّ ﷺ وأصحابَه ، وهم بمكةَ ، فشقَّ ذلك عليهم ، وكان النبىُّ ﷺ / يكرهُ أن يَظهرَ الأُمِّيون من المجوسِ على أهلِ الكتابِ من الرومِ ، وفرِح الكفارُ بمكةَ وشمِتوا ، فلَقُوا أصحابَ النبىِّ ﷺ ، فقالوا : إنكم أهلُ كتابٍ ، والنصارى أهلُ كتابٍ ، ونحن أُمِّيون ، وقد ظهَر إخوانُنا من أهلِ ١٨/٢١

---

(١) أخرجه البخارى (٤٧٦٧ ، ٤٨٢٠ ، ٤٨٢٥) ، ومسلم (٤١/٢٧٩٨) ، والطحاوى فى شرح مشكل الآثار ٤٢٣/٢ عقب (٩٦٤) من طريق الأعمش به ، وأخرجه النسائى فى الكبرى (١١٣٧٤) ، والطبرانى (٩٠٤٩) من طريق مسلم بن صبيح به .

(٢) تفسير مجاهد ص ٥٣٨ ، ومن طريقه البيهقى فى الدلائل ٣٣١/٢ ، وأخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ١٠١/٢ من طريق ابن أبى نجيح به .

(٣) أذرعات : بلد فى أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان . معجم البلدان ١٧٥/١ .

فارسَ على إخوانِكم من أهلِ الكتابِ ، وإنكم إن قاتَلتمونا لنَظهرَن عليكم . فأنزَل اللَّهُ : ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ[1] ﴾ الآيات ، [٢/٥٨٤ظ] فخرَج أبو بكرٍ الصديقُ إلى الكفارِ ، فقال : أفرِحتم بظهورِ إخوانِكم على إخوانِنا ؟ فلا تَفْرَحوا ، ولا يُقِرَّنَّ اللَّهُ أعينَكم ، فواللَّهِ لَتَظهرَنَّ الرومُ على فارسَ ، أخبَرنا بذلك نبيُّنا ﷺ ، فقام إليه أُبَيُّ بنُ خلفٍ فقال : كذَبتَ يا أبا فُضَيلٍ . فقال له أبو بكرٍ رضِى اللَّهُ عنه : أنت أكذبُ يا عدوَّ اللَّهِ . فقال : أُناحِبُك[2] ؛ عشرُ قلائصَ[3] منى ، وعشرُ قلائصَ منك ، فإن ظهَرت الرومُ على فارسَ غرِمتُ . وإن ظهَرت فارسُ[4] غرِمتَ ، إلى ثلاثِ سنينَ . ثم جاء أبو بكرٍ إلى النبىِّ ﷺ فأخبَره ، فقال : « ما هكذا ذكَرتُ ، إنما البِضْعُ ما بينَ الثلاثِ إلى التسعِ . فزايِدْه فى الخَطَرِ[5] ، ومادِّه[6] فى الأجلِ » . فخرَج أبو بكرٍ ، فلقِى أُبَيًّا ، فقال : لعلك ندِمتَ ؟ قال : لا ، تعال أُزايِدْك فى الخطرِ ، وأُمادَّك فى الأجلِ ، فاجعَلْها مائةَ قَلوصٍ [7]لمائةِ قلوصٍ[7] ، إلى تسعِ سنينَ . قال : [8]قد فعَلتُ[9] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن أبى بكرٍ ، عن عكرمةَ . قال[8] : كانت فى فارسَ امرأةٌ لا تَلِدُ إلا الملوكَ الأبطالَ ، فدعاها كِسْرَى ،

---

(١) بعده فى ت٢ : « ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

(٢) فى ت١ ، ت٢ : « أناجيك » . وأُناحبكَ ، أى : أُراهنك .

(٣) القلوص : الفتية من الإبل . اللسان (ق ل ص) .

(٤) بعده فى م ، ت٢ ، ف : « على الروم » .

(٥) الخطر : الرهن وما يخاطر عليه . النهاية ٢/٤٦ .

(٦) ماده ، أى : ماطله وجاذبه . اللسان (م د د) .

(٧ - ٧) سقط من : ت١ .

(٨ - ٨) سقط من : ت٢ .

(٩) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/١٥٢ إلى المصنف ، وينظر الأثر القادم .

فقال : إنى أُرِيدُ أن أَبْعَثَ إلى الرومِ جيشًا ، وأستعمِلَ عليهم رجلًا من بَنيكِ ، فأَشِيرى علىَّ ، أَيُّهم أستعمِلُ ؟ فقالت : هذا فلانٌ ، وهو أروغُ من ثعلبٍ ، وأَحذرُ من صقرٍ[(١)] ، وهذا فَرُّخانُ ، وهو أنفذُ من سنانٍ ، وهذا شَهْرَبرَازُ[(٢)] ، وهو أحلمُ من كذا ، فاستعمِلْ أيَّهم شئْتَ . قال : إنى قد استعمَلتُ الحليمَ . فاستعمَل شَهْرَبرَازَ[(٢)] ، فسار إلى الرومِ بأهلِ فارسَ ، وظهَر عليهم ، فقتَلهم ، وخرَّب مدائنَهم ، وقطَّع زيتونَهم . قال أبو بكرٍ : فحدَّثتُ بهذا الحديثِ عطاءً الخراسانىَّ ، فقال : أما رأَيتَ بلادَ الشامِ ؟ قلت : لا . قال : أما إنك لو رأَيتَها[(٣)] ، لرأَيتَ المدائنَ التى خُرِّبت ، والزيتونَ الذى قُطِّع . فأتيتُ الشامَ بعد ذلك فرأَيتُه .

قال عطاءٌ الخراسانىُّ : ثنى يحيى بنُ يَعْمَرَ : أن قيصرَ بعَث رجلًا يُدعَى قطمةَ بجيشٍ من الرومِ ، وبعَث كسرَى شَهربرازَ[(٢)] ، فالْتَقيا بأذْرِعاتٍ وبُصْرَى ، وهى أدنى الشامِ إليكم ، فلقِيَتْ فارسُ الرومَ ، فغلَبتهم فارسُ ، ففرِح بذلك كفارُ قريشٍ ، وكرِهه المسلمون ، فأنزَل اللَّهُ : ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ الآيات . ثم ذكَر مثلَ حديثِ عكرمةَ ، وزاد : فلم يبرَحْ[(٤)] شهَربرازُ يَطَؤُهم ، ويُخرِّبُ مدائنَهم ، حتى بلَغ الخليجَ[(٥)] ، ثم مات كسرَى ، فبلَغهم موتُه ، فانهَزم شهرَبرازُ وأصحابُه ، [٦]وأُدِيلَتْ عليهم[٦] الرومُ عندَ ذلك ، فأَتْبَعوهم يَقْتُلونهم . قال : وقال عكرمةُ فى حديثِه : لما ظهَرت فارسُ على الرومِ جلَس فرُّخانُ يشربُ ، فقال لأصحابِه : لقد رأَيتُ كأنى

---

(١) فى ص ، م ، ت٢ ، ف : « صرد » ، وينظر ابن كثير .

(٢) فى ت١ : « شهرواز » ، وفى ابن كثير : « شهريراز » ، وينظر البداية والنهاية ١٠/١٥٥ .

(٣) فى ص ، ت١ : « أتيتها » .

(٤) فى م ، ف : « يزل » .

(٥) فى ت٢ : « الخليع » .

(٦ - ٦) فى م ، ف : « وأوعبت عليهم » ، وفى ت١ : « وأدركهم » .

جالسٌ على سريرِ كسرَى . فبلَغت كسرَى ، فكتَب إلى شهرَبرازَ : إذا أتاك كتابى ، فابعَثْ إلىَّ/ برأسِ فَرُّخانَ ، فكتَب إليه : أيُّها الملِكُ ، إنك لن تَجِدَ مثلَ فَرُّخانَ ، إن له ١٩/٢١
نكايةً وصوتًا[١] فى العدوِّ ، فلا تَفْعَلْ . فكتَب إليه : إن فى رجالِ فارسَ خلَفًا منه ، فعجِّلْ إلىَّ برأسِه . فراجَعه ، فغضِب كسرَى فلم يُجِبْه ، وبعَث [٢]بريدًا إلى أهلِ[٢] فارسَ : إنى قد نَزَعتُ عنكم شهرَبرازَ[٣] ، واستعمَلتُ عليكم فرُّخانَ ، ثم دفَع إلى البريدِ صحيفةً صغيرةً : إذا وَلِىَ فرُّخانُ المُلْكَ ، وانقادَ له أخوه ، فأَعْطِه هذه[٤] . فلما قرَأ شهرَبرازُ الكتابَ ، قال : سمعًا وطاعةً . ونزَل عن سريرِه ، وجلَس فَرُّخانُ ، ودُفِع الصحيفةُ إليه ، قال : ائتونى بشهرَبرازَ . فقدَّمه ليَضْرِبَ عنقَه ، قال : لا تعجَلْ حتى أكتبَ وصيَّتى . قال : نعم . فدعا بالسَّفَطِ[٥] ، فأعطاه ثلاثَ صحائفَ وقال : كلُّ هذا راجَعتُ فيك كسرَى ، وأنت أردتَ أن تَقْتُلَنى بكتابٍ واحدٍ ! فردَّ المُلْكَ ، وكتَب شهرَبرازُ إلى قيصرَ ملكِ الرومِ : إن لى إليك حاجةً لا تَحْمِلُها البُرُدُ[٦] ، ولا تُبلِّغُها الصحفُ ، فالْقَنى ، ولا تَلْقَنى إلَّا فى خمسين روميًّا ، فإنى ألقاك[٧] فى خمسين فارسيًّا . فأقبَل قيصرُ فى خمسِمائةِ ألفٍ رومىٍّ ، وجعَل يَضَعُ العيونَ بينَ

---

(١) فى ص ، م ، ت٢ ، ف : « ضربا » ، والمثبت موافق لما فى ابن كثير ، ويقال : له صوت ، أى : ذِكر . اللسان (ص و ت) .

(٢ - ٢) فى ت٢ : « يريد إلى » .

(٣) فى ت١ : « شهرواز » .

(٤) سقط من : ص ، ت١ ، ت٢ .

(٥) السفَط : الذى يعبى فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء . اللسان (س ف ط) .

(٦) فى م ، ف : « البريد » ، والبرد جمعها .

(٧) فى ت٢ : « لا ألقاك إلا » .

يديه فى الطريقِ ، وخاف أن يكونَ قد مكَر به ، حتى أتاه[١] عيونُه أن ليس معه إلَّا خَمْسون رجلًا ، ثم بُسِط لهما ، والتَقَيا فى قبةِ ديباجٍ ، ضُرِبت لهما ، مع كلِّ واحدٍ منهما سِكِّينٌ ، فدعَيا[٢] تُرْجُمانًا بينَهما ، فقال شهرَبرازُ : إن الذين خرَّبوا مدائنَك[٣] أنا وأخى ، بكيدِنا وشجاعتِنا ، وإن كسرَى حسَدنا ، فأراد أن أقتُلَ أخى فأَبَيْتُ ، ثم أمَر أخى أن يقتلَنى ، فقد خلَعْناه[٤] جميعًا ، فنحن نُقاتِلُه معك . فقال : قد أصَبتما ، ثم أشار أحدُهما إلى صاحبِه أن السرَّ[٥] بينَ اثنينِ ، فإذا جاوَز اثنينِ فشا . قال : أجلْ . فقتَلا التُّرْجُمانَ جميعًا بسكينَيْهما ، فأهلَك اللَّهُ كسرَى ، وجاء الخبرُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ [٢/٥٨٥و] يومَ الحديبيةِ ، ففرِح ومَن معه[٦] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ . قال : غلبَتْهم[٧] فارسُ على أدنى الشامِ ، ﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ الآية . قال : لما أنزَل اللَّهُ هؤلاءِ الآياتِ صدَّق المسلمون ربَّهم ، وعلِموا أن الرومَ سيظهَرون على فارسَ ، فاقتَمَروا هم والمشركون ؛ خمسَ قلائصَ خمسَ قلائصَ ، وأَجَّلُوا بينَهم خمسَ سنين ، فوَلِى قِمارَ المسلمين أبو بكرٍ رضِى اللَّه عنه ، وولِى قِمارَ المشركين [٨]أُبَىُّ بنُ خلفٍ ؛ وذلك قبلَ أن يُنْهَى عن القمارِ ، فحلَّ الأجلُ ، ولم تَظْهَرِ الرومُ على فارسَ ، وسأَل المشركون قِمارَهم[٨] ، فذكَر ذلك أصحابُ النبىِّ

---

(١) فى م ، ف : « أتته » .

(٢) فى ص ، ت١ ، ت٢ : « فدعا » ، ودعيت : لغة فى دعوت . القاموس المحيط (د ع و) .

(٣) فى ص : « مدينتك » .

(٤) فى ت٢ : « خالفناه » .

(٥) فى ت١ : « الستر » .

(٦) أخرجه سنيد فى تفسيره كما فى تخريج الكشاف للزيلعى ٣/٥٤ ، وابن كثير فى تفسيره ٦/٣٠٦ ، ٣٠٧ .

(٧) فى ص ، ت ٢ ، ت٣ : « غلبهم » .

(٨ - ٨) سقط من : ت٢ .

للنبىِّ[(١)] ﷺ ، فقال : « لم يكونوا[(٢)] أحِقَّاءَ أن يُؤَجِّلوا[(٣)] دونَ العشرِ ؛ فإن البِضعَ ما بينَ الثلاثِ إلى العشرِ ، وزايِدوهم فى القمارِ ، وماذُّوهم فى الأجلِ » . ففعَلوا ذلك ، فأظهَر اللَّهُ الرومَ على فارسَ عندَ رأسِ البضعِ سنين من قمارِهم الأولِ ، وكان ذلك مرجِعَه من الحديبيةِ ، ففرِح المسلمون بصلحِهم الذى كان ، وبظهورِ أهلِ الكتابِ على المجوسِ ، وكان ذلك مما شدَّد اللَّهُ به الإسلامَ ، وهو قولُه : ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ﴾ الآية[(٤)] .

حدَّثنى يعقوبُ ، قال : ثنا ابنُ عُليةَ ، عن داودَ بنِ أبى هندٍ ، عن الشعبىِّ فى قولِه : ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾ إلى قولِه : ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ . قال : كان النبىُّ ﷺ أخبَر الناسَ بمكةَ أن الرومَ ستَغْلِبُ ، قال : فنزَل القرآنُ بذلك ، قال : وكان المسلمون يُحِبُّون ظهورَ الرومِ على فارسَ ؛ لأنهم أهلُ الكتابِ[(٥)] .

/**حدَّثنا** ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا المحاربىُّ ، عن داودَ بنِ أبى هندٍ ، عن عامرٍ ، عن ٢٠/٢١
عبدِ اللَّهِ ، قال : كان فارسُ ظاهرًا على الرومِ ، [(٦)] وكان المشركون يُحبُّون أن تظهرَ فارسُ على الرومِ ، وكان المسلمون يُحبُّون أن تظهرَ الرومُ[(٦)] على فارسَ ؛ لأنهم أهلُ كتابٍ ، وهم أقربُ إلى دينِهم ، فلما نزَلتْ : ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾ إلى ﴿ فِى بِضْعِ سِنِينَ ﴾ . قالوا : يا أبا بكرٍ : إن صاحبَك يقولُ : إن الرومَ تَظهرُ على فارسَ فى بِضعِ سنين ! قال : صدَق . قالوا : هل لك أن نُقامِرَك ؟ فبايَعوه على أربعِ قلائصَ

---

(١) سقط من : ص ، ت١ ، ت٢ ، وينظر مصدر التخريج .

(٢) فى ص ، م ، ف : « تكونوا » .

(٣) فى ص ، م ، ت٢ ، ف : « تؤجلوا » .

(٤) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣٣٣/٢ ، ٣٣٤ من طريق يزيد به ، وأخرجه عبد الرزاق ١٠١/٢ عن معمر عن قتادة .

(٥) أخرجه عبد الرزاق ١٠١/٢ عن معمر عن رجل عن الشعبى بنحوه .

(٦ - ٦) سقط من : ت٢ .

إلى سبعِ سنين ، فمضَت السبعُ ولم يَكُنْ شيءٌ ، ففرِح المشركون بذلك . وشقَّ على المسلمين ، فذكَروا ذلك للنبيِّ ﷺ ، فقال : « ما بضعُ سِنِينَ عندَكم ؟ » قالوا : دونَ العشرِ . قال : « اذْهَبْ فزايِدْهم ، وازدَدْ سنتَينِ » . قال : فما مضَت السنتانِ ، حتى جاءت الركبانُ بظهورِ الرومِ على فارسَ ، ففرِح المسلمون بذلك ، وأنزَل اللَّهُ : ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾ إلى قولِه : ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ﴾[1] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن الأعمشِ وفِطْرٍ ، عن أبى الضُّحى ، عن مسروقٍ ، عن عبدِ اللَّهِ قال : مضَتِ الرومُ[2] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ ﴾ . [3]قال : أدنى الأرضِ[3] الشَّامُ ، ﴿ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ . قال : كانت فارسُ قد غلَبت الرومَ ، ثم أُدِيلَ الرومُ على فارسَ ، وذُكِر أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إن الرومَ ستَغلِبُ فارسَ » . فقال المشركون : هذا مما يَتَخَرَّصُ[4] محمدٌ . فقال أبو بكرٍ : تُناحِبوننى ؟ - والمناحبةُ : المُجاعَلةُ - قالوا : نعم . فناحَبهم أبو بكرٍ ، فجعَل السنينَ أربعًا أو خمسًا ، ثم جاء إلى النبيِّ ﷺ فأخبَره[5] فقال له[6] رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن البضعَ فيما بينَ الثلاثِ إلى التسعِ ، فارجِعْ إلى القومِ ، فزِدْ فى المناحبةِ » . فرجَع إليهم ، فقالوا ، فناحَبهم وزاد[7] . قال : فغلَبت الرومُ فارسَ ، فذلك قولُ اللَّهِ : ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/١٥٠ إلى المصنف ، وذكره ابن كثير فى تفسيره ٦/٣٠٥ عن المصنف .

(٢) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/١٠١ ، ١٠٢ من طريق أبى الضحى به ، وتقدم مطولًا ص ٤٥٠ .

(٣ - ٣) سقط من : ت٢ .

(٤) تخرص ، أى : كذب . اللسان (خ ر ص) .

(٥) سقط من : م ، ت٢ ، ف .

(٦) سقط من : م ، ت١ ، ف .

(٧) فى م ، ت٢ ، ف : « فزاد » .

﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ﴾ : يوم أُديلَت الرومُ على فارسَ .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا معاويةُ بنُ عمرٍو ، عن أبى إسحاقَ الفَزارىِّ ، عن سفيانَ ، عن حبيبِ بنِ أبى عمرةَ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ . قال : غُلِبت وغَلَبت[1] .

وأما الذين قَرءُوا ذلك : (غَلَبَتِ الرُّومُ) بفتحِ الغينِ ، فإنهم قالوا : نزَلت هذه الآيةُ خبرًا من اللَّهِ نبيَّه ﷺ عن غَلَبةِ الرومِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا نصرُ بنُ علىٍّ ، قال : ثنا المعتمرُ بنُ سليمانَ ، عن أبيه ، عن سليمانَ - يعنى الأعمشَ - عن عطيةَ ، عن أبى سعيدٍ ، قال : لما كان يومُ بدرٍ[2] ظَهَر الرومُ على فارسَ ، فأعجَب ذلك المؤمنين ، فنزَلت : (الم غَلَبَتِ الرُّومُ) : على فارسَ[3] .

حدَّثنا محمدُ بنُ المثنى ، قال : ثنا يحيى بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أبو عَوَانةَ ، عن سليمانَ ، عن عطيةَ ، عن [٢/٥٨٥ظ] / أبى سعيدٍ ، قال : لما كان يومُ بدرٍ ، غَلَبت ٢١/٢١
الرومُ على فارسَ ، ففرِح المسلمون بذلك ، فأنزَل اللَّهُ : (الم غَلَبَتِ الرُّومُ) ، إلى آخرِ الآيةِ .

حدَّثنا يحيى بنُ إبراهيمَ المسعودىُّ ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن

---

(١) أخرجه أحمد ٢٩٦/٤ (٢٤٩٥) وغيره بهذا اللفظ من طريق معاوية بن عمرو به ، وتقدم ص٤٤٨ مطولًا .

(٢) زيادة من مصادر التخريج .

(٣) أخرجه الترمذى (٣١٩٢) ، وابن عساكر ٣٦٩/١ من طريق نصر بن على به ، وأخرجه الواحدى فى أسباب النزول ص ٢٥٩ من طريق المعتمر بن سليمان به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٥١/٥ إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه .

الأعمشِ ، عن عطيةَ ، عن أبى سعيدٍ ، قال : لما كان (١ يومُ بدرٍ ١) ، ظهَرت الرومُ على فارسَ ، فأعجَب ذلك المؤمنين ؛ لأنهم أهلُ كتابٍ ، فأنزَل اللَّهُ : (الم . غَلَبت الرومُ فى أدنى الأرضِ) . قال : كانوا قد غُلِبوا قبلَ ذلك . ثم قرَأ حتى بلَغ : ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ﴾ .

وقولُه : ﴿ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ ﴾ . قد ذكَرتُ قولَ بعضِهم فيما تقدَّم قبلُ ، وأَذْكُرُ قولَ مَن لم يُذْكَرْ قولُه .

حدَّثنى علىٌّ ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ ﴾ . يقولُ : فى طَرَفِ الشَّامِ[٢] .

ومعنى قولِه : ﴿ أَدْنَى ﴾ : أقربُ ، وهو أفعَلُ من الدنوِّ والقربِ . وإنما معناه : فى أدنى الأرضِ من فارسَ ، فترَك ذكرَ فارسَ استغناءً بدلالةِ ما ظهَر من قولِه : ﴿ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ ﴾ عليه منه .

وقولُه : ﴿ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ ﴾ . يقولُ : والرومُ من بعدِ غَلَبةِ فارسَ إياهم ، سيَغْلِبون فارسَ .

وقولُه : ﴿ مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ ﴾ . مصدرٌ ، من قولِ القائلِ : غَلَبْتُه غَلَبةً . فحُذِفت الهاءُ من الغَلَبةِ . وقيل : من بعدِ غَلَبِهم . ولم يُقَلْ : من بعدِ غَلَبتِهم للإضافةِ ، كما حُذِفت من قولِه : ﴿ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [النور : ٣٧] . للإضافةِ . وإنما الكلامُ : وإقامةِ الصلاةِ .

(١ - ١) سقط من : ت٢ .

(٢) أخرجه ابن عبد الحكم فى فتوح مصر ص ٤٤ عن عبد الله بن صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٥٢/٥ إلى ابن المنذر .

وأما قولُه : ﴿ سَيَغْلِبُونَ ﴾ . فإن القرأةَ أجمعينَ على فتحِ الياءِ فيها ، والواجبُ على قراءةِ مَن قرأ (الم غَلَبَتِ الرُّومُ) بفتحِ الغينِ ، أن يَقْرَأَ قولَه : (سَيُغْلَبُونَ) بضمِّ الياءِ[(١)] ، فيَكونَ معناه : وهم من بعدِ غلبتِهم فارسَ ، سيَغْلِبُهم المسلمون ؛ حتى يَصِحَّ معنى الكلامِ ، وإلا لم يَكُنْ للكلامِ كبيرُ معنًى إن فُتِحت الياءُ ؛ لأن الخبرَ عما قد كان يصيرُ إلى الخبرِ عن أنه سيكونُ ، وذلك إفسادُ أحدِ الخبرَينِ بالآخرِ .

وقولُه : ﴿ فِي بِضْعِ سِنِينَ ﴾ . قد ذكَرْنا اختلافَ أهلِ التأويلِ فى معنى « البِضعِ » فيما مضَى ، [(٢)] وأتَيْنا على [(٢)] الصحيحِ من أقوالِهم ، بما أغنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[(٣)] .

وقد **حدَّثنا** ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا الحكمُ بنُ بشيرٍ ، قال : ثنا خلادُ بنُ مسلمٍ الصّفارُ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عيسى ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ ، عن أبيه ، عن عبدِ اللَّهِ ابنِ عمرٍو ، قال : قلْتُ له : ما البضعُ ؟ قال : زعَم أهلُ الكتابِ أنه تسعٌ أو سبعٌ[(٤)] .

وأما قولُه : ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾ . فإن القاسمَ **حدَّثنا** ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ قولَه : ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ ﴾ من قبلِ دولةِ فارسَ على الرومِ ، [(٥)] و [(٦)] من بعدِ دولةِ [(٦)] الرومِ [(٥)] على فارسَ[(٧)] .

---

(١) قرأ (سيغلبون) بضم الياء عليٌّ وابن عمر ومعاوية بن قرة . مختصر الشواذ لابن خالويه ص ١١٧ ، وينظر ما تقدم فى ص٤٤٦ .

(٢ - ٢) فى ص ، ت١ : « وللفاعل » ، وفى ت٢ : « والفاعل » ، ولعلها مصحفة عن : « دللنا على » . أو عما أثبت .

(٣) تقدم فى ١٣/١٧٥ ، ١٧٦ .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٦/٣١٠ وعزاه إلى المصنف .

(٥ - ٥) سقط من : ص ، ت٢ .

(٦ - ٦) سقط من : ت١ .

(٧) بعده فى ص ، ت١ ، ت٢ : « ويومئذ يفرح المؤمنون » .

وأما قولُه : ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ﴾ . فقد ذكَرْنا الروايةَ فى تأويلِه قبلُ ، وبيَّنا معناه .

٢٢/٢١ / **القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى** : ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : وعْدَ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه ؛ وعَد أن الرومَ ستَغْلِبُ فارسَ من بعدِ غَلَبةِ فارسَ لهم . ونُصِب ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ ﴾ على المصدرِ من قولِه : ﴿ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ ؛ لأن ذلك وعدٌ من اللَّهِ لهم أنهم سيَغْلِبون ، فكأنه قال : وعَد اللَّهُ ذلك المؤمنين وعدًا ، ﴿ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : إن اللَّهَ يَفِى بوعدِه للمؤمنين أن الرومَ سيغْلِبون فارسَ ، لا يُخلِفُهم وعدَه ذلك ؛ لأنه ليس فى مواعيدِه خُلفٌ ، ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . يقولُ : ولكنَّ أكثرَ قريشٍ الذين يُكَذِّبون بأن اللَّهَ منجزٌ وعدَه المؤمنين من أن الرومَ تَغْلِبُ فارسَ – لا يَعْلَمون أن ذلك كذلك ، وأنه لا يَجوزُ أن يَكونَ فى وعدِ اللَّهِ إخلافٌ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : يعلمُ هؤلاء المكذِّبون بحقيقةِ خبرِ اللَّهِ أن الرومَ ستَغْلِبُ فارسَ– ﴿ ظَٰهِرًا ﴾ مِن أمرِ[1] حياتِهم الدنيا وتدبيرِ[2] معايشِهم فيها ، وما يُصْلِحُهم ، وهم عن أمرِ آخرتِهم ، وما لهم فيه النجاةُ من عقابِ[3] اللَّهِ هنالك غافلون ، لا يُفَكِّرون فيه .

---

(١) سقط من : م ، ت٢ ، ف .

(٢) فى ت١ ، ت٢ : « تدبر » .

(٣) فى ت٢ : « عذاب » .

وبنحوِ الذى قلْنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا أبو تُمَيْلةَ يحيى بنُ واضحٍ الأنصاريُّ ، قال : ثنا الحسينُ [٢/٥٨٦و] بنُ واقدٍ ، قال : ثنا يزيدُ النحويُّ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ . (١ يعنى : معايشَهم ؛ متى يحصُدون ، ومتى يغرِسون ١) (٢) .

حدَّثنى أحمدُ بنُ الوليدِ الرمليُّ ، قال : ثنا عمرُ بنُ عثمانَ بنِ عمرَ ، عن عاصمِ ابنِ علىٍّ ، قال : ثنا أبو تُمَيْلةَ ، قال : ثنا ابنُ واقدٍ ، عن يزيدَ النحويِّ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (١ . قال : متى يَزْرَعون ، متى يَغْرِسون .

حدَّثنا محمدُ بنُ المثنَّى ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبةُ ، قال : ثنى شَرَقيٌّ ، عن عكرمةَ فى قولِه : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ . قال : هو السرَّاجُ أو نحوُه (٣) .

حدَّثنا أبو هريرةَ محمدُ بنُ فِراسٍ الضُّبَعِيُّ ، قال : ثنا أبو قُتَيبةَ ، قال : ثنا شعبةُ ، عن شَرَقيٍّ ، عن عكرِمةَ فى قولِه : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ . قال : السرَّاجون .

حدَّثنا أحمدُ بنُ الوليدِ الرمليُّ ، قال : ثنا سليمانُ بنُ حربٍ ، قال : ثنا شعبةُ ،

(١ - ١) سقط من : ت٢ .

(٢) ذكره القرطبى ١٤/٧ ، وأبو حيان ١٦٣/٧ فى تفسيرهما ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٥٢/٥ إلى ابن أبى حاتم .

(٣) ينظر تخريج الأثر الآتى عن عكرمة فى الصفحة التالية .

عن شَرَقيٍّ ، عن عكرمةَ فى قولِه : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ . قال : الخرَّازون والسرَّاجون .

٢٣/٢١ / **حدَّثنا** بشرُ بنُ آدمَ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مهدىٍّ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن منصورٍ ، عن إبراهيمَ : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ . قال : معايشَهم ، وما يُصْلِحُهم .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مهدىٍّ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن منصورٍ ، عن إبراهيمَ مثلَه .

حدَّثنى بشرُ بنُ آدمَ ، قال : ثنا الضحاكُ بنُ مخلدٍ ، عن سفيانَ ، عن أبيه ، عن عكرمةَ ؛ وعن منصورٍ ، عن إبراهيمَ : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ . (١ قال : معايشَهم .

حدَّثنى علىٌّ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ ١) . يعنى : الكفارُ ، يَعْرِفون عُمرانَ الدنيا ، وهم فى أمرِ الدِّينِ جُهَّالٌ(٢) .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن أبيه ، عن عكرمةَ : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ . قال : معايشَهم ، وما يصلحُهم(٣) .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن منصورٍ ، عن إبراهيمَ مثلَه .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا

(١ - ١) سقط من : ت٢ .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٥٢/٥ إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٥٢/٥ إلى ابن أبى شيبة وابن المنذر وابن أبى حاتم، كما ذكره القرطبى ٧/١٤.

﴿ مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ : من حرفتِها وتصرُّفِها[١] وبُغْيتِها ، ﴿ وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾[٢] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن رجلٍ ، عن الحسنِ[٣] ، قال : يَعْلَمون متى زرعُهم ، ومتى حصادُهم[٤] .

قال : ثنا حفصُ بنُ راشدٍ الهلالىُّ ، عن شعبةَ ، عن شَرَقِىٍّ ، عن عكرمةَ : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ . قال : السَّرَّاجُ ونحوُه[٥] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن أبى جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ ، قال : صرفَها فى معيشتِها .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ .

وقال آخرون فى ذلك ما **حدَّثنا** ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا يعقوبُ القُمِّىُّ ، عن جعفرٍ ، عن سعيدٍ فى قولِه : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ . قال : تَسْتَرِقُ الشياطينُ السمعَ ، فيَسْمَعون الكلمةَ التى قد نزَلت ، يَنْبَغى لها أن تكونَ فى الأرضِ . قال : ويُرْمَون بالشهُبِ ، فلا يَنْجو أن يَحترِقَ ، أو يُصيبَه شرٌّ[٦] منه . قال : فيَسْقُطُ[٧] فلا يَعودُ[٨] أبدًا . قال : ويَرْمِى بذاك الذى سمِع إلى أوليائِه من الإنسِ . قال :

---

(١) فى ص : « تصرفتها » ، وفى ت١ : « تصرفاتها » .

(٢) أخرجه عبد الرزاق ١٠٢/٢ عن معمر عن قتادة ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٥٢/٥ إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم .

(٣) فى ت٢ : « الحسين » .

(٤) ذكره بنحوه أبو حيان ١٦٣/٧ .

(٥) ينظر ما سبق عن عكرمة .

(٦) فى م ، ف : « شرر » .

(٧) فى ص : « فتسقط » .

(٨) فى ص : « تعود » .

فيَحْمِلون عليه ألفَ كَذْبةٍ . قال : فما رأَيتَ الناسَ يقولون : يكونُ كذا وكذا . قال : فيَجِيءُ الصحيحُ منه ، كما يقولون ، الذى سمِعوه فى [١] السماءِ ، وبقيَّتُه [٢] من الكذبِ الذى يخوضون فيه [٣] .

٢٤/٢١ / **القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى :** ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : أو لم يتفكَّرْ هؤلاء المكذِّبون بالبعثِ يا محمدُ من قومِك ، فى خلقِ اللَّهِ إياهم ، وأنه خلَقهم ولم يَكونوا شيئًا ، ثم صرَفهم أحوالًا وتاراتٍ ، حتى صاروا رجالًا ؛ فيَعْلَموا أن الذى فعَل ذلك قادرٌ أن يُعيدَهم بعدَ فنائِهم خلقًا جديدًا ، ثم يُجازىَ المحسنَ منهم بإحسانِه ، والمسيءَ بإساءتِه ، لا يَظْلِمُ أحدًا منهم فيُعَاقِبَه بجُرمِ غيرِه ، ولا يَحرِمُ أحدًا منهم جزاءَ عملِه ؛ لأنه العدلُ الذى لا يجورُ ، ﴿ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ ﴾ إلا بالعدلِ وإقامةِ الحقِّ [٤] ، ﴿ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ . يقولُ : وبأَجلٍ مُؤقَّتٍ مُسَمًّى ، إذا بلَغَتْ ذلك الوقتَ ، أفنَى ذلك كلَّه ، وبدَّل الأرضَ غيرَ الأرضِ والسماواتِ ، وبَرزوا للَّهِ الواحدِ القهَّارِ ، ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ ﴾ [٢/٥٨٦ظ] جاحِدون مُنكِرون [٥] - جهلًا منهم - بأن معادَهم إلى اللَّهِ بعدَ فنائِهم ، وغفلةً منهم عن الآخرةِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ

---

(١) فى م ، ف : « من » .

(٢) فى م : « يعقبه » .

(٣) ذكره القرطبى فى تفسيره ٨/١٤ ، وأبو حيان فى البحر المحيط ١٦٣/٧ .

(٤) فى ت٢ : « الحجة » .

(٥) فى ص ، ت١ : « ينكرون » .

﴿ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : أو لم يَسِرْ[1] هؤلاء المكذِّبون باللَّهِ الغافِلون عن الآخرةِ من قريشٍ ، فى البلادِ التى يسلُكُونها[2] تَجْرًا[3] ، فينظُروا إلى آثارِ اللَّهِ فيمَن كان قبلَهم من الأممِ المكذبةِ ، كيف كانت عاقبةُ أمرِها فى تكذيبِها رسلَها ؛ فقد كانوا أشدَّ منهم قوَّةً ، ﴿ وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ ﴾ . يقولُ : واستخرَجوا الأرضَ وحرَثوها ، وعمَروها أكثرَ مما عمرَ هؤلاء ، فأهلكهم اللَّهُ بكفرِهم وتكذيبِهم رسلَهم ، فلم يَقْدِروا على الامتناعِ ، مع شدَّةِ قُواهم ، مما نزَل بهم من عقابِ اللَّهِ ، ولا نفَعَتهم عمارتُهم ما عمَروا من الأرضِ ، إذ جاءتهم رسلُهم بالبيناتِ من الآياتِ ، فكذَّبوهم ، فأحلَّ اللَّهُ بهم بأسَه ، فما كان اللَّهُ لِيَظْلِمَهم بعقابِه إياهم على تكذيبِهم رسلَه وجحودِهم آياتِه ، ولكن كانوا أنفسَهم يَظْلِمون بمعصيتِهم ربَّهم .

وبنحوِ الذى قلْنا فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ ﴾ . قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ﴾ .

---

(١) فى ت١ ، ت٢ : « ير » .

(٢) فى ت٢ : « يسكنونها » .

(٣) فى ص ، ت١ : « بحرا » .

قال : مُلِّكوا الأرضَ وعمَروها .

٢٥/٢١ /**حدَّثنى** محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَأَثَارُوا الْأَرْضَ ﴾ . قال : حرَثوها[1] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا ﴾ ؛ كقولِه : ﴿ [2]وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ[2] ﴾ [غافر : ٢١] . وقولُه : ﴿ وَعَمَرُوهَا ﴾ : أكثرَ مما عمَر هؤلاء ، ﴿ وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ثم كان آخرَ أمرِ مَن كفَر من هؤلاء الذين أثاروا الأرضَ وعمَروها ، وجاءتهم رسلُهم بالبيناتِ ، باللَّهِ وكذَّبوا رسلَه ، فأساءوا بذلك من فعلِهم ﴿ السُّوأَى ﴾ . يعنى : الخَلَّةُ التى هى أسوأُ من فعلِهم ؛ أمَّا فى الدنيا فالبوارُ والهلاكُ ، وأمَّا فى الآخرةِ فالنارُ ، لا يُخْرَجون منها ولا هم يُستعتَبون .

وبنحوِ الذى قلْنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ

---

(١) تفسير مجاهد ص ٥٣٨ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٥٢/٥ إلى ابن أبى شيبة وابن المنذر وابن أبى حاتم .

(٢ - ٢) فى ت٢ : « وأثاروا » .

﴿ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ ﴾ : (١ الذين أشركوا ، ﴿ ٱلسُّوٓأَىٰٓ ﴾ ١) . أى : النارُ (٢) .

حدَّثنى علىٌّ ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ ﴾ . يقولُ : الذين كفَروا جزاؤُهم العذابُ (٣) .

وكان بعضُ أهلِ العربيةِ يقولُ : السُّوأَى فى هذا الموضعِ مصدرٌ ، مثلُ : البُقْوَى (٤) . وخالَفه فى ذلك غيرُه فقال : هى اسمٌ .

وقولُه : ﴿ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ . يقولُ : كانت لهم السُّوأَى ؛ لأنهم كذَّبوا فى الدنيا بآياتِ اللَّهِ ، ﴿ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ . يقولُ : وكانوا بحُجَجِ اللَّهِ ، وهم أنبياؤُه ورسلُه ، يَسْخَرون .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : اللَّهُ تعالى يَبْدَأُ إنشاءَ جميعِ الخلقِ مُنْفَرِدًا بإنشائِه من غيرِ شريكٍ ولا ظهيرٍ ، فيُحْدِثُه من غيرِ شىءٍ ، بل بقدرتِه عزَّ وجلَّ ، ثم يُعيدُه خلقًا جديدًا بعدَ إفنائِه وإعدامِه (٥) ، كما بدَأَه خلقًا سَوِيًّا ولم يكُ شيئًا ، ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ . يقولُ : ثم إليه من بعدِ إعادتِهم خَلْقًا جديدًا يُرَدُّون ، فيُحْشَرون لفصلِ القضاءِ بينَهم ، و ﴿ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟

(١ - ١) سقط من : ت١ ، ت٢ .

(٢) ذكره ابن كثير ٣١٣/٦ بنحوه .

(٣) ذكره الحافظ فى الفتح ٥١١/٨ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٥٣/٥ إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم .

(٤) فى ت١ ، ت٢ : « التقوى » . والسُّوأى والبُقْوى ، بوزن فُعلى مثل الحسنى . اللسان (س و أ) ، (ب ق ى) .

(٥) فى ت٢ : « إبدائه » .

بِٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [النجم : ٣١] .

٢٦/٢١ /القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

يقولُ تعالى ذكرُه : ويومَ تجيءُ الساعةُ التى فيها يفصِلُ اللَّهُ بينَ خلقِه ، ويَنْشُرُ فيها الموتَى من قبورِهم ، فيحشُرُهم إلى مَوْقِفِ الحسابِ ، ﴿ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ . يقولُ : يَيْأَسُ الذين أشرَكوا باللّهِ ، واكتَسَبوا فى الدنيا مساوِئَ الأعمالِ من كلِّ شرٍّ[1] ، ويكتئبون ويتندَّمون ، [٢/٥٨٧و] كما قال العجاجُ[2] :

يا صاحِ هل تَعْرِفُ رَسْمًا مُكْرَسَا

قـــال نَعَـــمْ أعْـرِفُـه وأبْلَسَا[3]

وبنحوِ الذى قلْنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ قولَه : ﴿ يُبْلِسُ ﴾ . قال : يكتئِبُ[4] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ قولَه : ﴿ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ : أى فى النارِ .

---

(١) فى ص ، ت١ ، ت٢ : « خير » .

(٢) ديوانه ص ١٢٣ .

(٣) تقدم فى ١/٥٤٣ .

(٤) تفسير مجاهد ص ٥٣٨ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/١٥٣ إلى الفريابى وابن المنذر وابن أبى حاتم .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِ اللّهِ : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ . قال : المُبْلِسُ : الذى قد نزَل به الشرُّ . إذا أبلَس الرجلُ ، فقد نزَل به بلاءٌ .

وقولُه : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَـٰٓؤُا۟ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه: ويومَ تقومُ الساعةُ لم[1] يكُنْ لهؤلاء المجرمين الذين وصَف جلَّ ثناؤُه صِفتَهم ، من شركائِهم الذين كانوا يتَّبِعونَهم ، على ما دَعَوهم إليه من الضلالةِ ، فيُشارِكونهم فى الكفرِ باللّهِ ، والمعاونةِ على أذَى رُسُلِه ، ﴿ شُفَعَـٰٓؤُا۟ ﴾ يشفَعون لهم عندَ اللّهِ ، فيستنقِذوهم من عذابِه ، ﴿ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴾ . يقولُ : وكانوا بشركائِهم فى الضلالةِ ، والمعاونةِ فى الدنيا على أولياءِ اللّهِ ، كافرين ؛ يجحَدون ولايتَهم ، ويتبرَّءون منهم ، كما قال جلَّ ثناؤه : ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ﴾ [البقرة : ١٦٦ ، ١٦٧] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

/ يقولُ تعالى ذكرُه : ويومَ تجِىءُ الساعةُ التى يُحشَرُ فيها الخلقُ إلى اللّهِ ، ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ . يقولُ : فى ذلك اليومِ ﴿ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ . يعنى : يتفرَّقُ أهلُ الإيمانِ باللّهِ ، وأهلُ الكفرِ به ؛ فأما أهلُ الإيمانِ ، فيُؤخَذُ بهم ذاتَ اليمينِ إلى الجنةِ ، وأما أهلُ الكفرِ فيُؤخَذُ بهم ذاتَ الشمالِ إلى النارِ ، فهنالك يَميزُ اللّهُ الخبيثَ من الطيِّبِ . ٢٧/٢١

(١) فى ص ، ت١ ، ت٢ : « ولم » .

كما **حدَّثنا** بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ فى قولِهِ : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ . قال : فُرْقةٌ واللَّهِ لا اجتماعَ بعدَها[١] .

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ باللَّهِ ورسولِه ، ﴿ وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ . يقولُ : وعمِلوا بما أمَرهم اللَّهُ به ، وانْتَهَوا عما نهاهم عنه ، ﴿ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ . يقولُ : فهُم فى الرياحينِ والنباتاتِ[٢] الملتفَّةِ ، وبين أنواعِ الزهرِ فى الجِنانِ ، يُسَرُّون ، ويُلَذَّذون بالسماعِ ، وطِيبِ العيشِ الهنيِّ . وإنما خَصَّ جلَّ ثناؤه ذكرَ الروضةِ فى هذا الموضعِ ؛ لأنه لم يكنْ عندَ الطرفين أحسنُ منظرًا ، ولا أطيبُ نَشْرًا[٣] من الرياضِ ، ويدُلُّ على أن ذلك كذلك ، قولُ أعشَى بنى ثعلبةَ[٤] :

ما رَوْضَةٌ مِن رِياضِ الحَزْنِ[٥] مُعْشِبَةٌ ... خَضْرَاءُ جادَ عَلَيْها مُسْبِلٌ هَطِلُ[٦]

يُضَاحِكُ الشَّمسَ منها كَوْكَبٌ شَرِقٌ ... مُؤَزَّرٌ بعَمِيمِ النَّبْتِ مُكْتَهِلُ[٧]

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣١٣/٦ ، وأبو حيان فى البحر المحيط ١٦٥/٧ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٥٣/٥ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم .

(٢) فى ص ، ت١ ، ت٢ : « النبات » .

(٣) النشر : الريح الطيبة ؛ القاموس المحيط (ن ش ر) .

(٤) ديوانه ص ٥٧ .

(٥) فى م ، ت٢ ، ف : « الحسن » .

والحزن : ما غلظ من الأرض فى ارتفاع . اللسان (ح ز ن) .

(٦) السبل بالتحريك : المطر ، وقيل : المطر المسبل . اللسان (س ب ل) والهطل : تتابع المطر والدمع وسيلانه . ومطر هطل : كثير الهطلان . الصحاح (هـ ط ل) .

(٧) قال صاحب اللسان : وقول الأعشى : يضاحك الشمس . معناه : يدور معها ، ومضاحكته إياها حسن له ونضرة ، والكوكب : معظم النبات ، والشرق : الريان الممتلئ ماء ، والمؤزر : الذى صار النبات كالإزار له ، والعميم : النبت الكثيف الحسن وهو أكثر من الجميم . يقال : نبت عميم ومعتم وعمم . واكتهلت الروضة : إذا عمها نبتها . اللسان (ك هـ ل) .

يَوْمًا بأَطْيَبَ مِنْها نَشْرَ رائحَةٍ ولَا بأَحْسَنَ مِنْها إذ دَنا الأُصُلُ[١]

فأعلمهم بذلك تعالى ، أن الذين آمنوا وعمِلوا الصالحاتِ ، من المنظرِ الأنيقِ ، واللذيذِ من الأراييحِ ، والعيشِ الهنيِّ ، فيما يُحبون ، ويُسَرُّون به ، ويُغْبَطون عليه . والحَبْرةُ عندَ العربِ : السرورُ والغبْطَةُ . قال العجاجُ[٢] :

فالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أعْطَى الحَبَرْ مَوَالِىَ الحَقِّ إنِ المَوْلى شَكَرْ[٣]

واختلَف أهلُ التأويلِ فى معنى ذلك ؛ فقال بعضُهم : معنى ذلك : فهُم فى روضةٍ يُكْرَمونَ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى عليٌّ ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ . قال : يُكرَمون[٤] .

وقال آخرون : معناه : يُنعَّمون .

/ذكرُ مَن قال ذلك ٢٨/٢١

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ

---

(١) الأُصل : جمع أصيل ، وهو العشى . اللسان (أ ص ل) .

(٢) ديوانه ص ٤ .

(٣) قال شارحه : الحبر : السرور . وقوله : « موالى الحق » : أى أولياء الحق . وقوله : « إن المولى شكر » . قال : هذا بمنزلة قولك : قد أعطاك الله خيرا إن شكرت ، أى فاشكر . الديوان الموضع السابق .

(٤) ذكره القرطبى فى تفسيره ١٢/١٤ ، والبغوى ٢٦٤/٦ ، وأبو حيان ١٦٥/٧ .

فى قولِه : ﴿ يُحْبَرُونَ ﴾ . قال : يُنعَّمون[١] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ . قال : يُنعَّمون[٢] .

وقال آخرون : يُلَذَّذون بالسماعِ والغناءِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ موسى الحَرَشِيُّ[٣] ، قال : ثنى عامرُ بنُ يِسافٍ ، قال : سألتُ يحيىَ بنَ أبى كثيرٍ عن قولِ اللَّهِ : ﴿ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ . قال : الحَبْرَةُ : اللَّذَّةُ والسماعُ[٤] .

حدَّثنا عبيدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ الفِريابيُّ ، قال : ثنا ضَمْرةُ بنُ ربيعةَ ، عن الأوزاعىِّ ، عن يحيى بنِ أبى كثيرٍ فى قولِه : ﴿ يُحْبَرُونَ ﴾ . قال : السماعُ فى الجنةِ[٥] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا عيسى بنُ يونُسَ ، عن الأوزاعىِّ ، عن يحيى بنِ أبى كثيرٍ مثلَه .

---

(١) تفسير مجاهد ص ٥٣٨ .

وأخرجه الفريابى عن ورقاء به ، كما فى تغليق التعليق ٤/٢٧٩ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/١٥٣ إلى ابن أبى شيبة وابن المنذر وابن أبى حاتم .

(٢) ذكره أبو حيان ٧/١٦٥ .

(٣) فى م : « الحرسى » . وينظر تهذيب الكمال ٢٦/٥٣٢ .

(٤) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ٣/٩٦ من طريق عامر بن يساف به .

(٥) أخرجه ابن أبى شيبة ١٣/١٢٢ ، وهناد فى الزهد (٤) عن عيسى بن يونس به ، وأخرجه ابن المبارك (٢٣٤ - زوائد نعيم) ، والترمذى (٢٥٦٥) ، وأبو نعيم فى الحلية ٣/٦٩ ، والبيهقى فى البعث (٤١٩) من طريق الأوزاعى به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/١٥٣ إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن عامرِ بنِ يِسافٍ ، عن يحيى بنِ أبى كثيرٍ مثلَه[(١)] .

وكلُّ هذه الألفاظِ التى ذكَرنا عمن ذكَرناها عنه ، تعودُ إلى معنى ما قلنا .

[٢/٥٨٧ظ] **القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى :** ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : وأما الذين جحَدوا توحيدَ اللَّهِ ، وكذَّبوا رسلَه ، وأنكَروا البعثَ بعدَ المماتِ ، والنشورَ للدارِ الآخرةِ ، فأولئك فى عذابِ اللَّهِ مُحضَرونَ ، وقد أحضَرهم اللَّهُ إياها ، فجمَعهم فيها ، ليَذُوقوا العذابَ ، الذى كانوا به[(٢)] فى الدنيا يكذِّبونَ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ .

يقول تعالى ذكرُه : فسبِّحوا اللَّهَ أيها الناسُ : أى صَلُّوا له حين تُمْسون ؛ وذلك صَلاةُ المغربِ ، وحين تُصبِحون ؛ وذلك صلاةُ الصبحِ ، ﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ . يقولُ : وله الحمدُ من جميعِ خلْقِه ، دونَ غيرِه ، فى السماواتِ ؛ مِن سُكَّانِها من الملائكةِ ، والأرضِ ؛ من أهلِها من جميعِ أصنافِ خلقِه فيها ، /﴿ وَعَشِيًّا ﴾ . ٢٩/٢١
يقولُ : وسَبِّحوه أيضًا عشيًّا ، وذلك صلاةُ العصرِ ، ﴿ وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ . يقولُ : وحين تَدْخُلون فى وقتِ الظهْرِ .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

---

(١) أخرجه الخطيب فى تاريخه ١٤٩/٧ من طريق عامر بن يساف به .

(٢) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ، قال: ثنا أبي، عن سفيانَ، عن عاصمٍ، عن أبي رَزِينٍ، قال: سأل نافعُ بنُ الأزرَقِ ابنَ عباسٍ: (١هل تجِدُ١) ميقاتَ الصلواتِ[٢] الخمسِ في كتابِ اللَّهِ؟ قال: نعم؛ ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾: المغربُ، ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾: الفجرُ، ﴿وَعَشِيًّا﴾: العصرُ، ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾: الظهرُ. قال: ﴿وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ﴾[٣] [النور: ٥٨].

حدَّثنا ابنُ بشارٍ، قال: ثنا عبدُ الرحمنِ، قال: ثنا سفيانُ، عن عاصمٍ، عن أبي رَزِينٍ، قال: سأل نافعُ بنُ الأزرَقِ ابنَ عباسٍ عن الصلواتِ الخمسِ في القرآنِ، قال: نعَم. فقرأ: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾. قال: صلاةُ المغربِ، ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾. قال: صلاةُ الصبحِ، ﴿وَعَشِيًّا﴾. قال: صلاةُ العصرِ، ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾: صلاةُ الظهرِ. ثم قرأ: ﴿وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ﴾[٤].

حدَّثني أبو السائبِ، قال: ثنا ابنُ إدريسَ، عن ليثٍ، عن الحكمِ عن[٥] أبي عياضٍ، عن ابنِ عباسٍ، قال: جمَعتْ هاتان الآيتانِ مواقيتَ الصلاةِ: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾. قال: المغربُ والعشاءُ، ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾: الفجرُ،

(١ - ١) سقط من: ص، ت١، ت٢، وليس في عبد الرزاق والطبراني.

(٢) في ص، ت١، ت٢: «الصلاة».

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٧٧٢)، ومن طريقه ابن المنذر في الأوسط ٣٢١/٢ (٩٣٢)، والفريابي - كما في الدر المنثور ١٥٤/٥ - ومن طريقه الطبراني (١٠٥٩٦) عن سفيان به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٥٤/٥ إلى ابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الحاكم ٤١٠/٢، ٤١١، وعنه البيهقي ٣٥٩/١، من طريق عبد الرحمن بن مهدي به.

(٥) في م: «بن».

﴿ وَعَشِيًّا ﴾ : العصرُ ، ﴿ وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ : الظهرُ[١] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا ابنُ إدريسَ ، عن ليثٍ ، عن الحكمِ ، عن أبى عياضٍ ، عن ابنِ عباسٍ بنحوِه .

حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن ليثٍ ، عن الحكمِ ، عن أبى عياضٍ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ إلى قولِه : ﴿ وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ . قال : جمَعت الصلواتِ ؛ ﴿ فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ ﴾ : المغربُ والعشاءُ ، ﴿ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ : صلاةُ الصبحِ ، ﴿ وَعَشِيًّا ﴾ : صلاةُ العصرِ ، ﴿ وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ : صلاةُ الظهرِ[٢] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا إسحاقُ بنُ سليمانَ الرازىُّ ، عن أبى سنانٍ ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ ﴾ : المغربُ والعشاءُ ، ﴿ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ : الفجرُ ، ﴿ وَعَشِيًّا ﴾ : العصرُ ، ﴿ وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ : الظهرُ ، وكلُّ سجَدةٍ فى القرآنِ فهى صلاةٌ[٣] .

حدثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتَادةَ : ﴿ فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ ﴾ : لصلاةِ المغربِ ، ﴿ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ : لصلاةِ الصبحِ ، ﴿ وَعَشِيًّا ﴾ : لصلاةِ العصرِ ، ﴿ وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ : صلاةُ الظهرِ ، أربعُ صلواتٍ[٤] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ حِينَ / تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٣٠/٢١

---

(١) أخرجه ابن أبى شيبة - كما فى الدر المنثور ٥/١٥٤ - ومن طريقه ابن المنذر فى الأوسط ٢/٣٢٢ (٩٣٣) عن ابن إدريس به .

(٢) ينظر ما سبق .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/١٥٤ إلى المصنف وابن أبى شيبة وابن المنذر ، وذكره الطوسى ٨/٢١٤ .

(٤) أخرجه البيهقى ١/٣٥٩ من طريق سعيد به .

وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾. قال: ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾: صلاةُ المغربِ، ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾: صلاةُ الصبحِ، ﴿وَعَشِيًّا﴾: صلاةُ العصرِ، ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾: صلاةُ الظهرِ.

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾.

يقولُ تعالى ذكرُه: صَلُّوا فى هذه الأوقاتِ التى أمَركم بالصلاةِ فيها، أيها الناسُ للَّهِ الذى يُخرِجُ الحَىَّ من الميِّتِ؛ وهو الإنسانُ الحىُّ مِن الماءِ الميِّتِ، ويُخْرِجُ الماءَ الميِّتَ من الإنسانِ الحىِّ، ﴿وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾؛ فيُنبِتُها، ويُخرِجُ زَرْعَها بعدَ خرابِها وجُدوبِها، ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾. يقولُ: كما يُحيى الأرضَ بعدَ موتِها، فيُخرِجُ نباتَها وزَرْعَها، كذلك يُحيِيكم مِن بعدِ مماتِكم، فيُخرِجُكم أحياءً مِن قبورِكم، إلى مَوْقِفِ الحسابِ.

وقد بيَّنا فيما مضَى قبلُ تأويلَ قولِه: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾. وذكَرنا اختلافَ أهلِ التأويلِ فيه، فأغنَى ذلك [٢/٥٨٨و] عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[1]، غيرَ أنا نذكُرُ بعضَ ما لم نذكُرْ من الخبرِ هنالِك إن شاءَ اللَّهُ.

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابنِ عباسٍ قولَه: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾. قال: يُخْرِجُ من الإنسانِ ماءً مَيِّتًا، فيخلُقُ منه بشرًا، فذلك الميِّتُ من الحىِّ، ويُخرِجُ الحىَّ من الميِّتِ، فيعنى بذلك أنه يخلُقُ من الماءِ بشرًا، فذلك الحىُّ من الميِّتِ[2].

---

(١) تقدم فى ٥/٣٠٧.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٢٦ (٣٣٦٣) من طريق السدى عمن حدثه عن ابن عباس بنحوه.

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، عن الحسنِ قولَه : ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ : المؤمنَ من الكافرِ ، والكافرَ من المؤمنِ[(١)] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا جريرٌ وأبو معاويةَ ، عن الأعمشِ ، عن إبراهيمَ ، عن عبدِ اللَّهِ : ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ . قال : النُّطْفةَ مِن[(٢)] الرجلِ مَيِّتةً وهو حيٌّ ، ويُخْرِجُ الرجلَ منها حَيًّا وهى مَيِّتةٌ[(٣)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ومن حُجَجِه على أنه القادِرُ على ما يشاءُ أيها الناسُ ، من إنشاءٍ وإفناءٍ ، وإيجادٍ / وإعدامٍ ، وأن كلَّ موجودٍ فخلقُه- [(٤)]خَلْقُهُ إيّاكم[(٤)] من ٣١/٢١ ترابٍ . يعنى بذلك خَلْقَ آدمَ [(٥)]من ترابٍ[(٥)] ، فوصَفهم بأنه خلَقهم من ترابٍ ، إذ كان ذلك فِعلَه بأبيهم آدمَ ، كنحوِ الذى قد بيَّنا فيما مضَى من خطابِ العربِ مَن خاطَبَتْ بما فعَلت بسلَفِه ؛ من قولِهم : فعَلنا بكم وفعَلنا[(٦)] .

وقولُه : ﴿ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ . يقولُ : ثم إذا أنتم معشرَ ذُرِّيَّةٍ من خلَقناه مِنْ ترابٍ ، ﴿ بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ . يقولُ : تتصرّفون .

---

(١) تقدم تخريجه فى ٥/٣١٠ .

(٢) فى م : « ماء » .

(٣) تقدم تخريجه فى ٥/٣٠٧ .

(٤ - ٤) فى م : « خلقة أيكم » .

(٥ - ٥) سقط من : ص ، ت١ ، ت٢ .

(٦) تقدم فى ١/٦٤٢ .

وبنحوِ الذى قلْنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ : خلَق آدمَ ﷺ من ترابٍ ، ﴿ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ . يعنى ذُرِّيَّتَه[1] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ومِن حُجَجِه وأدلتِه على ذلك أيضًا خَلْقُه لأبيكم آدمَ مِن نفسِه زوجةً ؛ ليسكُنَ إليها . وذلك أنه خلَق حوّاءَ مِن ضِلَعٍ مِن أضلاعِ آدمَ .

كما **حدَّثنا** بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ : خلَقها لكم مِن ضِلَعٍ مِن أضلاعِه[2] .

وقولُه : ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ . يقولُ : وجعَل بينكم بالمصاهرةِ والـخُتونةِ مودّةً تتوادُّون بها ، وتتواصلون مِن أجلِها ، ورحمةً رحِمكم بها ، فعطَّف بعضَكم بذلك على بعضٍ ، ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ . يقولُ تعالى ذِكرُه : إن فى فعلِه ذلك لِعِبرًا وعظاتٍ لقومٍ يتفكرون[3] فى حججِ اللَّهِ وأدلتِه ، فيعلَمون أنه الإلهُ الذى لا يُعجِزُه شيءٌ أرادَه ، ولا يتعذَّرُ عليه فِعلُ شيءٍ

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/١٥٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/١٥٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم .

(٣) فى م : « يتذكرون » .

شاءه .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

يقولُ تعالَى ذِكرُه : ومِن حُججِه أيضًا وأدلتِه على أنه لا يُعجِزُه شىءٌ ، وأنه إذا شاء أمات مَن كان حيًّا مِن خلقِه ، ثم إذا شاء أنشَره وأعادَه ، كما كان قبلَ إماتتِه إياه - خَلْقُه السماواتِ والأرضَ مِن غيرِ شىءٍ أحدَث ذلك منه ، بل بقدرتِه التى لا يمتنعُ معها عليه شىءٌ أرادَه ، ﴿ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ ﴾ . يقولُ : واختلافُ / منطقِ ٣٢/٢١
ألسنتِكم ولغاتِها ، ﴿ وَأَلْوَٰنِكُمْ ﴾ . يقولُ : واختلافُ ألوانِ أجسامِكم ، ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴾ . يقولُ : إن فى فعلِه ذلك كذلك لعبرًا وأدلةً لخلقِه الذين يعقلون أنه لا يُعييه إعادتُهم لهيئتِهم التى كانوا بها قبلَ مماتِهم ، مِن بعدِ فنائِهم .

وقد بيَّنا معنى العالِمين فيما مضَى قبلُ[(١)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذِكرُه : ومِن حُججِه عليكم ، أيُّها القومُ ، تقديرُه الساعاتِ والأوقاتِ ، ومخالفتُه بينَ الليلِ والنهارِ ، فجعَل الليلَ لكم سَكَنًا تسكُنون فيه ، وتنامون فيه[(٢)] ، وجعَل النهارَ مضيئًا لتصرُّفِكم فى معايشِكم والتماسِكم فيه مِن رزقِ ربِّكم ، ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ . يقولُ تعالى ذِكرُه : إنَّ فى فعلِ اللَّهِ ذلك كذلك ، لَعِبرًا وذِكْرًا[(٣)] وأدلةً على أن فاعلَ ذلك لا يُعجِزُه شىءٌ أرادَه ،

---

(١) تقدم فى ص ٤٠٧ .

(٢) بعده فى ص ، ت١ ، ت٢ : « وبالنهار » .

(٣) فى م : « ذكرى » .

لقومٍ يسمعون مواعظَ اللَّهِ، فيتعِظون بها ويعتبِرون، فيَفهمون حججَ اللَّهِ عليهم.

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

يقولُ تعالى ذِكرُه: ومِن حُجَجِه ﴿يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا﴾ لكم إذا كنتم سَفْرًا، أن تُمْطَروا فتتأذَّوا به، ﴿وَطَمَعًا﴾ لكم إذا كنتُم فى إقامةٍ، أن تُمْطَروا [٢/٥٨٨ظ]، فتحيَوْا وتُخْصِبوا، ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾. يقولُ: وينزِّلُ مِن السماءِ مطرًا، فيُحيى بذلك الماءِ الأرضَ الميتةَ، فتُنبتُ ويخرُجُ زرعُها ﴿بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾. يعنى: بعدَ جُدوبِها ودروسِها، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ﴾. يقولُ: إن فى فعلِه ذلك كذلك لعبرًا وأدلةً ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ عن اللَّهِ حججَه وأدلتَه.

وبنحوِ الذى قلْنا فى معنى قولِه: ﴿يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ قال أهلُ التأويلِ.

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بِشرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قَتادةَ قولَه: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾. قال: خوفًا للمسافرِ، وطمعًا للمقيمِ[(١)].

واختلَف أهلُ العربيةِ فى وجهِ سقوطِ «أن» فى قولِه: ﴿يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾؛ فقال بعضُ نحويِّى البصرةِ: لم يذكرْ ههنا «أنْ»؛ لأنَّ هذا يدلُّ على المعنى، وقال الشاعرُ[(٢)]:

---

(١) تقدم تخريجه فى ١٣/٤٧٥.

(٢) تقدم فى ٢/١٨٩.

/ ألا أيُّهَذَا الزَّاجِرِى أحْضُرُ الوَغَى وأنْ أشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَل أنْتَ مُخْلِدى ٣٣/٢١

قال : وقال آخرُ[(١)] :

لَوْ قُلْتَ ما فِى قَوْمِها لَمْ تِيثَمِ[(٢)] يَفْضُلُها فى حَسَبٍ ومِيسَمِ[(٣)]

وقال : يريدُ : ما فى قومِها أحدٌ .

وقال بعضُ نحويِّى الكوفيين[(٤)] : إذا أُظْهِرت « أن » فهى فى موضعِ رفعٍ ؛ كما قال : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ﴾ ، و﴿ مَنَامُكُم ﴾ . فإذا حُذِفت جُعِلت ﴿ مِنْ ﴾ مؤدّيةً عن اسمٍ متروكٍ ، يكونُ الفعلُ صلةً له[(٥)] ، كقولِ الشاعرِ[(٦)] :

ومَا الدَّهْرُ إلَّا تارَتانِ فَمِنْهُما أموتُ وأُخْرَى أبْتَغى العَيْشَ أكْدَحُ

كأنه أراد : فمنهما ساعةٌ أموتُها ، وساعةٌ أعيشُها . وكذلك : ومِن آياتِه يُريكم آيةً للبرقِ[(٧)] ، وآيةً لكذا . وإن شئتَ أردتَ : ويُريكم مِن آياتِه البرقَ . فلا تُضْمَرُ « أنْ » ولا غيرُه .

وقال بعضُ مَن أنكَر قولَ البصريِّ : إنما ينبغى أن تُحذفَ « أنْ » مِن الموضعِ الذى يدلُّ على حذفِها ، فأما فى كلِّ موضعٍ فلا ، فأما مع : « أحْضُرَ الوغى[(٨)] » ، فلما

---

(١) سقط من : ص ، م ، ت١ . والقائل هو حكيم بن مُعَيَةَ الرَّبَعى .

والبيت فى معانى القرآن للفراء ١/٢٧١ ، والكتاب لسيبويه ٢/٣٤٥ ، وخزانة الأدب ٥/٦٢ .

(٢) أى : تأثم . على لغة بنى أسد ؛ يكسرون حروف المضارعة إلا الياء للكراهة ، ثم تحولت الألف بعد تخفيف همزها إلى ياء لمناسبة كسرة حروف المضارعة . وينظر خزانة الأدب ٥/٦٣ .

(٣) الحسب : ما يعده الإنسان من مفاخره ، وأراد به الشرف النسبى وهو شرف الآباء وأراد بالميسم الشرف الذاتى ، فإن الميسم الحسن والجمال ، من الوسم وهو الحسن . ا هـ خزانة الأدب ٥/٦٤ .

(٤) معانى القرآن للفراء ٢/٣٢٣ .

(٥) سقط من : م ، ت٢ .

(٦) هو تميم بن أبى بن مقبل ، والبيت فى ديوانه ص ٢٤ .

(٧) فى النسخ : « البرق » . وأثبتناه كالفراء فهذا نص كلامه ، وقد قيل بعدُ : « وآية لكذا » . فلينتبه .

(٨) بعده فى ت٢ : « فلا » .

كان : زجرتُك أنَ تقُومَ . و: زجَرتُك لأنْ تَقُومَ . يدلُّ على الاستقبالِ ، جاز حذفُ « أنْ » ؛ لأن الموضعَ معروفٌ ، لا يقعُ فى كلِّ الكلامِ ، فأما قولُه : ومِن آياتِه أنك قائمٌ . و : أنك تقومُ . و: أن تقومَ . فهذا الموضعُ لا يُحذفُ ؛ لأنه لا يدلُّ على شىءٍ واحدٍ .

٣٤/٢١ / **والصوابُ مِن القولِ فى ذلك** : أن « مِنْ » فى قولِه : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ ﴾ تدلُّ على المحذوفِ ، وذلك أنها تأتى بمعنى التبعيضِ ، [(١] وإذا كانت [١)] كذلك ، كان معلومًا أنها تقتضى البعضَ ، فلذلك تَحذِفُ العربُ معها الاسمَ لدلالتِها عليه .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذِكرُه : ومِن حُججِه أيُّها القومُ ، على قُدرتِه على ما يشاءُ - قيامُ السماءِ والأرضِ بأمرِه ، خضوعًا له بالطاعةِ ، بغيرِ عمَدٍ تُرى ، ﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ . يقولُ : إذا أنتم تَخْرجون مِن الأرضِ إذا دعاكم دعوةً ، مستجيبين لدعوتِه إياكم .

وبنحوِ الذى قُلْنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ : قامتا بأمرِه بغيرِ عمَدٍ ، ﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ . قال : دعاهم فخرَجوا مِن الأرضِ [(٢)] .

(١ - ١) فى ت٢ : « ولما كان ذلك » .

(٢) أخرج ابن أبى الدنيا شطره الثانى فى الأهوال (١٠٠) من طريق سعيد به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٥٤/٥ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم .

حُدِّثتُ عن الحسينِ ، قال : سمِعتُ أبا معاذٍ يقولُ : أخبرَنا عبيدٌ ، قال : سمِعتُ الضحاكَ يقولُ فى قولِه : ﴿ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ . يقولُ : مِن الأرضِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذِكرُه : وللَّهِ مَنْ فى السماواتِ والأرضِ ؛ مِن مَلَكٍ وجنٍّ وإنسٍ ، عبيدٍ ومُلَّكٍ ، ﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ . يقولُ : كلُّهم[1] له مطيعون . فيقولُ قائلٌ : وكيف قيل : ﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ . وقد علِم أن أكثرَ الإنسِ والجنِّ له عاصون ؟ فنقولُ : **اختلَف أهلُ التأويلِ** فى تأويلِ ذلك ، فنذكُرُ اختلافَهم ، ثم نُبَيِّنُ الصوابَ عندَنا فى ذلك مِن القولِ ؛ **فقال بعضُهم** : ذلك كلامٌ مَخْرجُه مَخْرجُ العمومِ ، والمرادُ به الخصوصُ ، ومعناه : كلٌّ له قانتون فى الحياةِ والبقاءِ والموتِ ، والفناءِ والبعثِ والنشورِ ، لا يمتنِعُ عليه شىءٌ مِن ذلك ، وإن عصاه بعضُهم فى غيرِ ذلك .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمِّى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ / قولَه : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ إلى : ﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ . يقولُ : مطيعون ، يعنى الحياةَ والنشورَ والموتَ ، وهم عاصون له فيما سوى ذلك مِن العبادةِ[2] . ٣٥/٢١

وقال آخرون : بل معنى ذلك : كلٌّ له قانتون بإقرارِهم بأنه ربُّهم [٢/٥٨٩و] وخالقُهم .

---

(١) فى م ، ت٢ : « كل » .

(٢) تقدم تخريجه فى ٤/٣٧٧ .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ : ﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ : مطيعٌ مقِرٌّ بأنَّ اللَّهَ ربُّه وخالقُه[1] .

وقال آخرون : هو على الخصوصِ ، والمعنى : وله مَن فى السماواتِ والأرضِ ؛ مِن مَلِكٍ وعبدٍ مؤمنٍ للَّهِ مطيعٍ دونَ غيرِهم .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وَهْبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ . قال : كلٌّ له مطيعون ، المطيعُ : القانتُ . قال : وليس شىءٌ إلا وهو مطيعٌ ، إلا ابنَ آدمَ ، وكان أحقَّهم أن يكونَ أطوعَهم للَّهِ . وفى قولِه : ﴿ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨] . قال : هذا فى الصلاةِ ، لا تتكلموا فى الصلاةِ كما يتكلمُ أهلُ الكتابِ فى الصلاةِ . قال : وأهلُ الكتابِ يمشى بعضُهم إلى بعضٍ فى الصلاةِ . قال : ويتقاتلون[2] فى الصلاةِ ، فإذا قيل لهم فى ذلك ، قالوا : لكى تذهبَ الشحناءُ مِن قلوبِنا ، و[3] تَسْلَمَ قلوبُ بعضِنا لبعضٍ ، فقال اللَّهُ : ﴿ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ لا تزولا كما يزولون ، ﴿ قَٰنِتِينَ ﴾ : لا تتكلَّموا كما يتكلَّمون . قال : فأما ما سِوى هذا كلِّه فى القرآنِ مِن القنوتِ ، فهو الطاعةُ ، إلا هذه الواحدةَ[4] .

وأولى الأقوالِ فى ذلك بالصوابِ القولُ الذى ذكرناه عن ابنِ عباسٍ ، وهو أنَّ

---

(١) تقدم تخريجه فى ٤/٣٧٨ .

(٢) فى م : « يتقابلون » .

(٣) زيادة يقتضيها السياق .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٣٠٦ إلى المصنف بمعناه مختصرا .

كلَّ مَن فى السماواتِ والأرضِ مِن خلقٍ للَّهِ ، مطيعٌ فى تصرُّفِه فيما أرادَ تعالى ذِكرُه مِن حياةٍ وموتٍ ، وما أشبَه ذلك ، [١] وإن عصاه فيما [٢] يَكتسِبُه بقواه [٢] ، وفيما له السبيلُ إلى اختيارِه ، وإيثارِه على خلافِه .

وإنما قلتُ : ذلك [١] أولى بالصوابِ فى تأويلِ ذلك ؛ لأن العصاةَ مِن خلقِه فيما لهم السبيلُ إلى اكتسابِه كثيرٌ عددُهم ، وقد أخبَر تعالى ذِكرُه عن جميعِهم أنهم له قانتون ، فغيرُ جائزٍ أن يُخبِرَ عمَّن هو عاصٍ ، أنه له قانتٌ فيما هو له عاصٍ . وإذا كان ذلك كذلك ، فالذى فيه عاصٍ هو ما وصَفتُ ، والذى هو له قانتٌ ما بيَّنتُ .

وقولُه : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ . يقولُ تعالى ذِكرُه : والذى له هذه الصفاتُ تبارَك وتعالى ، هو الذى يبدأُ الخلقَ مِن غيرِ أصلٍ ، فينشئُه ويُوجِدُه ، بعدَ أن لم يكنْ شيئًا ، ثم يُفْنِيه بعدَ ذلك ، ثم يعيدُه ؛ كما بدأَه بعدَ فنائِه ، وهو أهونُ عليه .

اختلَف أهلُ التأويلِ فى معنى قولِه : ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ ؛ فقال بعضُهم : معناه : وهو هيِّنٌ عليه .

/ ذِكرُ مَن قال ذلك ٣٦/٢١

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ سعيدٍ العطارُ ، عن سفيانَ ، عمَّن ذكَره ، عن منذرٍ الثوريِّ ، عن الربيعِ بنِ خُثَيْمٍ [٣] : ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ . قال : ما شىءٌ عليه بعزيزٍ [٤] .

(١ - ١) سقط من : ت٢ .

(٢ - ٢) فى م : « يكسبه بقوله » .

(٣) فى م ، ت١ : « خيثم » . وينظر تهذيب الكمال ٧٠/٩ .

(٤) ذكره الحافظ فى التغليق ٤٨٦/٣ عن المصنف ، وذكره القرطبى ٢١/١٤ ، ٢٢ ، وابن كثير ٣١٨/٦ .

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمِّي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ . يقولُ : كلُّ شيءٍ عليه هينٌ[1] .

وقال آخرون : معناه : وإعادةُ الخلقِ بعدَ فنائِهم أهونُ عليه مِن ابتداءِ خلقِهم .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني عليٌّ ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : ثني معاويةُ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ . قال : يقولُ : أيسرُ عليه[2] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثني** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ قولَه : ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ . قال : الإعادةُ أهونُ عليه مِن البَداءةِ ، والبَداءةُ عليه هينٌ[3] .

حدَّثني ابنُ المثنَّى ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبةُ ، عن سماكٍ ، عن عكرِمةَ قرأَ هذا الحرفَ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ . قال : تعجَّبَ الكفارُ مِن إحياءِ اللَّهِ الموتى . قال : فنزَلت هذه الآيةُ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ : إعادةُ الخلقِ أهونُ عليه

---

(١) ذكره القرطبي في تفسيره ٢١/١٤ ، وابن كثير في تفسيره ٣١٨/٦ عن العوفي .

(٢) ذكره الحافظ في الفتح ٢٨٧/٦ ، وابن كثير في تفسيره ٣١٨/٦ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٥٥/٥ إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) تفسير مجاهد ص ٥٣٨ ، ومن طريقه البيهقي في الأسماء والصفات (١٠٦٥) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٥٥/٥ إلى الفريابي وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف .

مِن إبداءِ الخلقِ[(١)] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا غندرٌ ، عن شعبةَ ، عن سماكٍ ، عن عكرمةَ بنحوِه ، إلا أنه قال : إعادةُ الخَلْقِ أهونُ عليه مِن ابتدائِه[(١)] .

حدَّثنا بشرٌ قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ قولَه : ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ . يقولُ : إعادتُه أهونُ عليه مِن بدئِه ، وكلٌّ على اللَّهِ هينٌ[(٢)] .

[(٣)وفى بعضِ القراءةِ : (وكلٌّ على اللَّهِ هيِّنٌ)[(٣)] .

وقد يَحتمِلُ هذا الكلامُ وجهين غيرَ القولين اللذين ذكَرتُ ، وهو أن يكونَ معناه : وهو الذى يبدأُ الخلقَ ثم يعيدُه ، وهو أهونُ على الخلقِ . أى إعادةُ الشىءِ أهونُ على الخلقِ مِن ابتدائِه . والذى ذكرنا عن ابنِ عباسٍ فى الخبرِ الذى **حدَّثنى** به ابنُ سعدٍ ، قولٌ أيضًا له وجهٌ .

وقد وجَّه غيرُ واحدٍ مِن أهلِ العربيةِ قولَ ذى الرُّمةِ[(٤)] :

أخى قَفَرَاتٍ دَبَّبَتْ فِى عِظامِه شُفافاتُ أعْجازِ الكَرَى فهْوَ أخْضَعُ

إلى أنه بمعنى : خاضعٌ . وقولَ الآخرِ :

/ لَعَمْرُكَ إنَّ الزِّبرِقانَ لبَاذِلٌ لِمَعْرُوفِه عِنْدَ السِّنِينَ وأفْضَلُ ٣٧/٢١

[٢/٥٨٩ظ] كَرِيمٌ لَهُ عَنْ كُلِّ ذَمٍّ تَأخُّرٌ وفِى كُلِّ أسْبابِ المكارِمِ أوَّلُ

---

(١) ذكره القرطبى فى تفسيره ٢١/١٤ ، وابن كثير فى تفسيره ٣١٨/٦ . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٥٥/٥ إلى ابن أبى شيبة وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن الأنبارى فى المصاحف .

(٢) ذكره الحافظ فى التغليق ٤٨٦/٣ عن المصنف .

(٣ - ٣) سقط من : ت٢ . الظاهر أن ذلك فى مصحف عبد الله . وينظر البحر المحيط ١٦٩/٧ .

(٤) ديوانه ٧٣٦/٢ .

إلى أنه بمعنى : وفاضلٌ . وقولَ مَعْنٍ[١] :

لَعَمْرُكَ ما أدْرِى وإنّى لَأَوْجَلُ على أيِّنا تَعْدُو المَنِيَّةُ أوَّلُ

إلى أنه بمعنى : وإنى لوَجِلٌ . وقولَ الآخرِ[٢] :

تَمَنَّى مُرَيْءُ القَيْسِ مَوْتى وإنْ أمُتْ فتلكَ سَبِيلٌ لستُ فيها بأوْحَدِ

إلى أنه بمعنى : لستُ فيها بواحدٍ . وقولَ الفرزدقِ[٣] :

إنَّ الَّذى سَمَكَ السَّماءَ بنَى لَنا بَيْتًا دَعائِمُهُ أعَزُّ وأطْوَلُ

إلى أنه بمعنى : عزيزةٌ طويلةٌ . قالوا : ومنه قولُهم فى الأذانِ : اللَّهُ أكبرُ . بمعنى : اللَّهُ كبيرٌ . وقالوا : إنْ قال قائلٌ : / إنَّ اللَّهَ لا يُوصَفُ بهذا ، وإنما يُوصَفُ به الخلقُ . ٣٨/٢١
فزعَم أنه : وهو أهونُ على الخلقِ – فإن الحجةَ عليه قولُ اللَّهِ : ﴿ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [النساء : ٣٠] . وقولُه : ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] : أى لا يُثْقِلُه حفظُهما .

وقولُه : ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ . يقولُ : وللَّهِ المثلُ الأعلى فى السماواتِ والأرضِ ، وهو أنه لا إلهَ إلا هو وحدَه لا شريكَ له ، ليسَ كمثلِه شىءٌ ، فذلك المثلُ الأعلى ، تعالى ربُّنا وتقدَّسَ .

وبنحوِ ما قلْنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ.

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى علىٌّ ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ

---

(١) ديوانه ص ٩٣ .

(٢) تقدم فى ١٦/١٦ وصدره هناك : تمنى رجال أن أموت .

(٣) ديوانه ص ٧١٤ .

قولَه : ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ . يقولُ : ليس كمثلِه شيءٌ[(١)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ : مَثَلُه أنه لا إلهَ إلا هو ، ولا ربَّ غيرُه[(٢)] .

وقولُه : ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ . يقولُ تعالى ذِكرُه : وهو العزيزُ فى انتقامِه مِن أعدائِه ، الحكيمُ فى تدبيرِه خلقَه ، وتصريفِهم فيما أراد ؛ من إحياءٍ وإماتةٍ ، وبعثٍ ونشرٍ ، وما شاء .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذِكرُه : مَثَّل لكم أيُّها القومُ ربُّكم مَثَلًا من أنفسِكم ؛ ﴿ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم ﴾ . يقولُ : مِن مماليكِكم ﴿ مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ مِن مالٍ ، ﴿ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ﴾ وهم . يقولُ : فإذا لم ترضَوْا بذلك لأنفسِكم ، فكيف رضِيتُم أن تكونَ آلهتُكم التى تعبُدونها لى شركاءَ فى عبادتِكم إياى ، وأنتم وهم عبيدى ومماليكى ، وأنا مالكُ جميعِكم .

وبنحوِ الذى قلْنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بِشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ ضَرَبَ لَكُم

---

(١) أخرجه البيهقى فى الاعتقاد ١/٤٥ من طريق عبد الله بن صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/ ١٥٥ إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم .

(٢) ذكره البغوى فى تفسيره ٦/٢٦٨ ، والطوسى فى التبيان ٨/٢٢١ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/١٥٥ إلى ابن أبى حاتم .

مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ﴾ . قال : مثلٌ ضرَبه اللَّهُ لمن عدَل به شيئًا مِن خلقِه ، يقولُ : أكان أحدُكم مشاركًا مملوكَه فى فراشِه وزوجتِه ؟! فكذلكم اللَّهُ لا يرضَى أن يُعْدَل به أحدٌ مِن خلقِه[1] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ﴾ . / قال[2] : تجدُ أحدًا يجعلُ عبدَه هكذا فى مالِه ؟! فكيف تعمِدُ ٣٩/٢١
أنت ، وأنت تشهَدُ أنهم عبيدى وخَلْقى ، وتجعلُ لهم نصيبًا فى عبادتى ، كيفَ يكونُ هذا ؟! قال : وهذا مَثَلٌ ضرَبه اللَّهُ لهم . وقرَأ : ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ .

واختلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قولِه : ﴿ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** : معنى ذلك : تخافون هؤلاءِ الشركاءَ مما ملَكت أيمانُكم ، أن يرِثُوكم أموالكم مِن بعدِ وفاتِكم ، كما يرِثُ بعضُكم بعضًا .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حُدِّثتُ عن حجاجٍ ، عن ابنِ جُرَيجٍ ، عن عطاءٍ الخراسانىِّ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : فى الآلهةِ ، وفيه يقولُ : تخافونهم أن يرِثوكم كما يرِثُ بعضُكم بعضًا[3] .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : تخافون هؤلاء الشركاءَ مما ملَكت أيمانُكم ،

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ١٠٢/٢ عن معمر عن قتادة بنحوه . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٥٥/٥ إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم .

(٢) بعده فى م : « هل » .

(٣) ذكره البغوى فى تفسيره ٢٦٨/٦ ، والطوسى فى التبيان ٢٢٢/٨ .

أن يقاسموكم أموالكم ، كما يقاسِمُ بعضُكم بعضًا .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا المعتمرُ ، قال : سمِعتُ عمرانَ قال : قال أبو مِجْلَزٍ : إن مملوكَك لا تخافُ أن يقاسِمَك مالَك ، وليس له ذلك ، كذلك اللَّهُ لا شريكَ له .

وأولى القولين بالصوابِ فى تأويلِ ذلك هذا[١] القولُ الثانى ؛ لأنه أشبهُهما بما دلَّ عليه ظاهرُ الكلامِ ، وذلك أنَّ اللَّهَ جلَّ ثناؤُه وبَّخ هؤلاءِ المشركين فى[٢] الذين جعَلوا[٣] له مِن خلقِه آلهةً يعبُدونها ، وأشرَكوهم فى عبادتِهم إياه[٤] ، وهم مع ذلك يُقِرُّون بأنَّها [٢/٥٩٠و] خلقُه وهم عبيدُه ، وعيَّرهم بفعلِهم ذلك ، فقال لهم : هل لكم مِن عبيدِكم[٥] شركاءُ فيما خوَّلْناكم مِن نعمِنا ، فهم سواءٌ وأنتم فى ذلك ، تخافون أن يقاسموكم ذلك المالَ الذى هو بينَكم وبينَهم ، كخِيفةِ بعضِكم بعضًا أن يقاسمَه ما بينَه وبينَه مِن المالِ شركةً ؟! فالخيفةُ التى ذكَرها تعالى ذِكرُه بأن تكونَ خيفةً مما يخافُ الشريكُ مِن مقاسمةِ شريكِه المالَ الذى بينهما إياه ، أشبهُ من أن تكون خيفةً منه بأن يرِثَه ؛ لأنَّ ذِكْرَ الشركةِ لا يدلُّ على خيفةِ الوراثةِ ، وقد يدلُّ على خيفةِ الفراقِ والمقاسمةِ .

وقولُه : ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ . يقولُ تعالى ذِكرُه :

---

(١) سقط من : م ، ت٢ .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى م : « يجعلون » ، وفى ت٢ : « يجعلوا » .

(٤) فى ص ، ت١ ، ت٢ : « إياها » .

(٥) فى ص ، ت١ ، ت٢ : « عبيدى » .

كما بيَّنا لكم أيُّها القومُ ، حججَنا فى هذه الآياتِ مِن هذه السورةِ على قدرتِنا على ما نشاءُ ؛ مِن إنشاءِ ما نشاءُ وإفناءِ ما نحبُّ وإعادةِ ما نريدُ إعادتَه بعدَ فنائِه ، ودلَّلنا على أنه لا تصلحُ العبادةُ إلا للواحدِ القهارِ ، الذى بيدِه ملكوتُ كلِّ شىءٍ - كذلك نبيِّنُ حججَنا فى كلِّ حقٍّ لقومٍ يعقلون ، فيتدبَّرونها إذا سمِعوها ، ويعتبِرون فيتعِظون بها .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذِكرُه : ما ذلك كذلك ، ولا أشرَك هؤلاءِ المشركون فى عبادةِ اللَّهِ الآلهةَ والأوثانَ لأنَّ لهم / شركًا فيما رزَقهم اللَّهُ مِن مِلْكِ أيمانِهم ، فهم وعبيدُهم فيه ٤٠/٢١
سواءٌ ، يخافونهم[1] أن يقاسِموهم ما هم شركاؤُهم فيه ، فرضُوا للَّهِ مِن أجلِ ذلك بما رضُوا به لأنفسِهم ، فأشرَكوهم فى عبادتِه ، ولكن الذين ظلَموا أنفسَهم فكفَروا باللَّهِ اتبعوا أهواءَهم ؛ جهلًا منهم لحقِّ اللَّهِ عليهم ، فأشرَكوا الآلهةَ والأوثانَ فى عبادتِه ، ﴿ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ﴾ . يقولُ : فمن يُسَدِّدُ للصوابِ مِن الطرقِ ؟! يعنى بذلك : مَن يُوَفِّقُ للإسلامِ مَن أضلَّ اللَّهُ عن الاستقامةِ والرشادِ ؟! ﴿ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ . يقولُ : وما لمن أضلَّ اللَّهُ مِن ناصرين ينصرونه فينقذونه مِن الضلالِ الذى يبتليه به تعالى ذِكرُه .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذِكرُه : فسدِّدْ وجهَك نحوَ الوجهِ الذى وجَّهك إليه ربُّك

---

(١) فى م : « يخافون » .

يا محمدُ ، لطاعتِه - وهى الدينُ - ﴿ حَنِيفًا ﴾ . يقولُ : مستقيمًا لدينه وطاعتِه ، ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ . يقولُ : صنعةَ اللَّهِ التى خلَق الناسَ عليها . ونُصِبت ﴿ فِطْرَتَ ﴾ على المصدرِ مِن معنى قولِه : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾ . وذلك أن معنى ذلك : فطَر اللَّهُ الناسَ على ذلك فطرةً .

وبنحوِ الذى قلْنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ قال : الإسلامُ ، مذْخلَقهم اللَّهُ مِن آدمَ جميعًا يُقِرُّون بذلك . وقرَأ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ[1] وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] . قال : فهذا قولُ اللَّهِ : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [البقرة : ٢١٣] بعدُ .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبوعاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ . قال : الإسلامُ[2] .

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ واضِحٍ ، قال : ثنا يونسُ بنُ أبى صالحٍ[3] ، عن يزيدَ بنِ أبى مريمَ ، قال : مرَّ عمرُ بمُعاذِ بنِ جَبَلٍ فقال : ما قِوامُ هذه الأُمَّةِ ؟ قال مُعاذٌ : ثلاثٌ ، وهنَّ المنجياتُ : الإخلاصُ ، وهو الفطرةُ : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ

---

(١) فى ت١ ، ت٢ : « ذرياتهم » ، وهى قراءة نافع وأبى عمرو وابن عامر . ينظر التيسير ص ٩٤ .

(٢) تفسير مجاهد ص ٥٣٩ .

(٣) فى تفسير ابن كثير ٦/٣٢٢ : « إسحاق » . والظاهر أنه الصواب . ينظر تهذيب الكمال ٣٢/٤٨٨ .

عَلَيْهَا ﴾ ، والصلاةُ ، وهى الملةُ ، والطاعةُ ، وهى العصمةُ . فقال عمرُ : صدقتَ[(١)] .

حدَّثنى يعقوبُ ، قال : ثنى ابنُ عُلَيَةَ ، قال : ثنا أيوبُ ، عن أبى قِلابةَ ، أن عمرَ قال لمعاذٍ : ما قِوامُ هذه الأمةِ ؟ ثم ذكَر نحوَه[(٢)] .

٤١/٢١ / وقولُه : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ . يقولُ : لا تغييرَ لدينِ اللَّهِ . أى لا يصلُحُ ذلك ، ولا ينبغى أن يُفْعَلَ .

واختَلف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ **فقال بعضُهم** نحوَ الذى قلْنا فى ذلك .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ . قال : لدينِه[(٣)] .

حدَّثنى أبو السائبِ ، قال : ثنا ابنُ إدريسَ ، عن ليثٍ ، قال : أرسَل مجاهدٌ [٢/٥٩٠ظ] رجلًا يقالُ له : قاسمٌ . إلى عكرِمةَ يسألُه عن قولِ اللَّهِ : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ : إنما هو الدينُ . وقرَأ : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾[(٤)] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا زيدُ بنُ حُبابٍ ، عن حسينِ بنِ واقدٍ ، عن يزيدَ النحويِّ ، عن عكرِمةَ : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ . قال : الإسلامُ .

قال : ثنا أبى ، عن نضرِ بنِ عربىٍّ ، عن عكرمةَ : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ .

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٦/٣٢٢ نقلًا عن المصنف .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٦/٣٢٣ نقلًا عن المصنف .

(٣) تفسير مجاهد ص ٥٣٩ . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/١٥٥ إلى الفريابى وابن أبى شيبة وابن المنذر .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/١٥٥ إلى ابن أبى شيبة وابن المنذر .

قال : لدينِ اللَّهِ .

قال : ثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : لدينِ اللَّهِ[١] .

قال : ثنا أبى ، عن عبدِ الجبارِ بنِ الوردِ ، عن القاسمِ بنِ أبى بزَّةَ ، قال : قال مجاهدٌ : فسلْ عنها عكرِمةَ . فسألتُه ، فقال عكرمةُ : دينُ اللَّهِ تعالى[٢] ، ما له أخزاه اللَّهُ ، ألم يسمعْ إلى قولِه : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾[٣] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ : أى لدينِ اللَّهِ[٤] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا حفصُ بنُ غياثٍ ، عن ليثٍ ، عن عكرمةَ ، قال : لدينِ اللَّهِ .

قال : ثنا ابنُ عيينةَ ، عن حُمَيْدٍ الأعرجِ ، قال : قال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ . قال : لدينِ اللَّهِ[٥] .

قال : ثنا المحاربىُّ ، عن جويبرٍ ، عن الضحاكِ : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ . قال : لدينِ اللَّهِ[٥] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ لَا تَبْدِيلَ

---

(١) ذكره القرطبى فى تفسيره ١٤/٣١ ، وابن كثير فى تفسيره ٦/٣٢٠ ، والطوسى فى التبيان ٨/٢٢٣ .

(٢) فى ص ، ت١ ، ت٢ : « فقال » .

(٣) تقدم فى ٧/٤٩٥ ، ٤٩٦ بأتم من هذا .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/١٥٥ إلى المصنف .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/١٥٥ إلى ابن أبى حاتم .

لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ . قال : دينِ اللَّهِ[١] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن مِسْعَرٍ وسفيانَ ، عن قيسِ بنِ مسلمٍ ، عن إبراهيمَ ، قال : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ . قال : لدينِ اللَّهِ .

قال : ثنا أبى ، عن جعفرٍ الرازىِّ ، عن مغيرةَ ، عن إبراهيمَ ، قال : لدينِ اللَّهِ[٢] .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لا تغييرَ لخلقِ اللَّهِ مِن البهائمِ ، بأن يُخْصَى الفحولُ منها .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا ابن فُضَيْلٍ ، عن مُطَرِّفٍ ، عن رجلٍ ، سأَل ابنَ عباسٍ ، عن خِصاءِ البهائمِ ، فكرِهه ، وقال : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾[٣] .

/ **قال** : ثنا ابنُ عُيَيْنةَ ، عن حميدٍ الأعرجِ ، قال : قال عكرمةُ : الإخصاءُ[٣] . ٤٢/٢١

قال : ثنا حفصُ بنُ غِياثٍ ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : الإخصاءُ[٤] .

وقولُه : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ . يقولُ تعالى ذِكرُه : إنَّ إقامتَك وجهَك للدينِ حنيفًا غيرَ مغيِّرٍ ولا مبدِّلٍ هو الدِّينُ القيمُ ، يعنى : المستقيمُ ، الذى لا عِوَجَ فيه عن الاستقامةِ ، من الحنيفيةِ إلى اليهوديةِ والنصرانيةِ وغيرِ ذلك مِن الضلالاتِ والبدعِ المحدَثةِ .

وقد وجَّه بعضُهم معنى الدينِ فى هذا الموضعِ إلى الحسابِ .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/١٥٥ إلى المصنف .

(٢) الأثر فى تفسير مجاهد ص ٥٣٩ من طريق مغيرة به .

(٣) تقدم نحوه فى ٧/٤٩٥ ، وينظر تفسير القرطبى ١٤/٣١ .

(٤) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (٨٤٤٥) من طريق ليث به .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمارةَ ، قال : ثنا عبيدُ[١] اللَّهِ بنُ موسى ، قال : أخبَرنا أبو لَيْلَى ، عن بُريدةَ : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ . قال : الحسابُ القيمُ ، ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . يقولُ تعالى ذِكرُه : ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يعلمون أن الدينَ الذى أمَرتُك يا محمدُ به بقولى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾ . هو الدينُ الحقُّ ، دونَ سائرِ الأديانِ غيرِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

يعنى تعالى ذِكرُه بقولِه : ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ﴾ : تائبين راجعين إلى اللَّهِ مقبلين .

كما **حدَّثنى** يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وَهْبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ﴾ . قال : المنيبُ إلى اللَّهِ : المطيعُ للَّهِ ، الذى أناب إلى طاعةِ اللَّهِ وأمرِه ، ورجَع عن الأمورِ التى كان عليها قبلَ ذلك ؛ كان القومُ كفارًا ، فنزَعوا ورجَعوا إلى الإسلامِ[٢] .

وتأويلُ الكلامِ : فأقِمْ وجهَك يا محمدُ للدينِ حنيفًا ، ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ﴾ : إلى اللَّهِ . فالمنيبون حالٌ مِن الكافِ التى فى ﴿ وَجْهَكَ ﴾ .

فإن قال قائلٌ : وكيفَ يكونُ حالًا منها ، والكافُ كنايةٌ عن واحدٍ ، والمنيبون صفةٌ لجماعةٍ ؟ قيل : لأن الأمرَ لمَنِ[٣] الكافُ كنايةُ اسمِه مِن اللَّهِ فى هذا الموضعِ ، أمرٌ

---

(١) فى م : « عبد » .

(٢) ينظر تفسير ابن كثير ٦/٣٢٠ .

(٣) فى م : « من » .

منه له ولأمتِه ، فكأنه قيل له : فأقمْ وجهَك أنت وأمتُك للدينِ حنيفًا للَّهِ ، منيبين إليه .

وقولُه : ﴿ وَٱتَّقُوهُ ﴾ . يقولُ جلَّ ثناؤُه : وخافوا اللَّهَ وراقبوه أن تُفرِّطوا فى طاعتِه ، وتركَبوا معصيتَه ، ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ . يقولُ : ولا تكونوا مِن أهلِ الشركِ باللَّهِ بتضييعِكم فرائضَه ، وركوبِكم معاصِيَه ، وخلافِكم الدينَ الذى دعاكم إليه .

وقولُه : ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ ﴾ . يقولُ : ولا تكونوا مِن المشركين الذين بدَّلوا دينَهم وخالَفوه ففارَقوه ، ﴿ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ ﴾ . يقولُ : وكانوا أحزابًا فِرَقًا كاليهودِ والنصارى .

٤٣/٢١ / وبنحوِ الذى قلْنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذِكرُ مَن قال ذلك

[٥٩١/٢و] **حدَّثنا** بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ : ﴿ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ ﴾ : وهم اليهودُ والنصارى[1] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ ﴾ إلى آخرِ الآيةِ . قال : هؤلاء يهودُ .

فلو وُجِّه قولُه : ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ ﴾ . إلى أنه خبرٌ مستأنفٌ منقطعٌ عن قولِه : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ . وأن معناه : مِن الذين فرَّقوا دِينَهُم وكانُوا شِيَعًا أحزابًا ، ﴿ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ - كان وجهًا يحتمِلُه الكلامُ .

وقولُه : ﴿ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ . يقولُ : كلُّ طائفةٍ وفرقةٍ مِن هؤلاء

---

(١) تقدم تخريجه فى ٨/١٠٥ .

الذين فارقوا دينَهم الحقَّ ، فأحدثوا البدَع التى أحدثوا ، ﴿ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ . يقولُ : بما هم به متمسكون مِن المذهبِ فرحون مسرورون ، يحسَبون أن الصوابَ معهم دونَ غيرِهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذِكرُه : وإذا مسَّ هؤلاء المشركين الذين يجعلون مع اللَّهِ إلهًا آخرَ - ضرٌّ ، فأصابتْهم شدَّةٌ وجُدوبٌ وقُحوطٌ ، ﴿ دَعَوْا رَبَّهُم ﴾ . يقولُ : أخلَصوا لربِّهم التوحيدَ ، وأفردوه بالدعاءِ والتضرُّعِ إليه ، واستغاثوا به ﴿ مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ﴾ : تائبين إليه مِن شركِهم وكفرِهم ، ﴿ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً ﴾ . يقولُ : ثم إذا كشَف ربُّهم تعالى ذِكرُه عنهم ذلك الضرَّ ، وفرَّجه عنهم ، وأصابَهم برخاءٍ وخِصْبٍ وسَعَةٍ ؛ ﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم ﴾ . يقولُ : إذا جماعةٌ منهم ﴿ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ . يقولُ : يعبدون معه الآلهةَ والأوثانَ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذِكرُه متوعدًا لهؤلاءِ المشركين الذين أخبَر عنهم أنه إذا كشَف الضرَّ عنهم كفَروا به : ﴿ لِيَكْفُرُوا ﴾ بما أعطَيناهم[1] . يقولُ : إذا هم بربِّهم يشرِكون ، كى يكفُروا ، أى يجحَدوا النعمةَ التى أنعمتُها عليهم ، بكشفى عنهم الضرَّ الذى كانوا فيه ، وإبدالى ذلك لهم بالرخاءِ والخِصبِ والعافيةِ . وذلك الرخاءُ والسعةُ هو الذى آتاهم تعالى ذِكرُه ، الذى قال : ﴿ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ ﴾ . وقولُه : ﴿ فَتَمَتَّعُوا۟ ﴾ . يقولُ : فتمتعوا أيُّها القومُ ، بالذى آتيناكم مِن الرخاءِ والسَّعةِ فى هذه

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ : « أعطاهم » .

الدنيا ، ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ إذا وردتُم على ربِّكم ما تَلْقَون مِن عذابِه ، وعظيمِ عقابِه ، على كفرِكم به فى الدنيا . وقد قرأ بعضُهم[1] : (فَسَوْفَ يَعْلَمُون) بالياءِ ، بمعنى : ليكفروا بما آتيناهم ، فقد تمتعوا - على وجهِ الخبرِ - فسوف يعلمون .

٤٤/٢١ / **القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى** : ﴿ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : أم أنزَلنا على هؤلاء الذين يُشركون فى عبادتِنا الآلهةَ والأوثانَ ، كتابًا بتصديقِ ما يقولون* ، وبحقيقةِ ما يفعلون ، ﴿ فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴾ . يقولُ : فذلك الكتابُ ينطقُ بصحةِ شركِهم . وإنما يعنى جلَّ ثناؤُه بذلك أنه لم يُنْزِلْ بما يقولون ويفعلون كتابًا ، ولا أرْسَل به رسولًا ، وإنما هو شىءٌ افتعلوه واختلَقوه ؛ اتباعًا منهم لأهوائِهم .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ قولَه : ﴿ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴾ . يقولُ : أمْ أنزَلنا عليهم كتابًا فهو ينطقُ بشركِهم[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

---

(١) هو أبو العالية ، ينظر البحر المحيط ١٧٣/٧ .

* من هنا خرم فى المخطوطة ت ٢ ينتهى فى ص ٥٠٨ .

(٢) ذكره البغوى فى تفسيره ٢٧٢/٦ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٥٦/٥ إلى ابن أبى حاتم .

يقولُ تعالى ذكرُه : وإذا أصاب الناسَ منَّا خِصبٌ ورخاءٌ ، وعافيةٌ فى الأبدانِ والأموالِ ، فرحوا بذلك ، وإن تُصِبْهم منا شدَّةٌ من جَدْبٍ وقحطٍ وبلاءٍ فى الأموالِ والأبدانِ ، ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ . يقولُ : بما أسلَفوا من سيِّئِ الأعمالِ بينَهم وبينَ اللَّهِ ، وركِبوا من المعاصى ، ﴿ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ . يقولُ : إذا هم ييأسون من الفرجِ . والقنوطُ هو الإياسُ ؛ ومنه قولُ حميدٍ الأرقطِ[(١)] .

قَدْ وَجَدُوا الحَجَّاجَ غيرَ قانِطِ

وقولُه : ﴿ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ . هو جوابُ الجزاءِ ؛ لأنَّ « إذا » نابت عن الفعلِ بدلالتِها عليه ، فكأنَّه قيل : وإنْ تصبْهم سيئةٌ بما قدَّمتْ أيديهم وجدتَهم يقنَطون . أو : تجدْهم . أو : رأيْتَهم . أو : تَرَهم[(٢)] .

وقد كان بعضُ نحويى البصرةِ[(٣)] يقولُ[(٤)] : كانت « إذا » جوابًا ؛ لأنها متعلقةٌ[(٥)] بالكلامِ الأوَّلِ ، بمنزلةِ الفاءِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

/ يقولُ تعالى ذكرُه : أو لم [٢/٥٩١ظ] يرَ هؤلاء الذين يَفْرحون عندَ الرخاءِ ٤٥/٢١
يُصيبُهم والخِصْبُ ، ويأسُون من الفرجِ عندَ شدَّةٍ تنالُهم - بعيونِ قلوبِهم ، فيعلموا أنَّ الشدَّةَ والرخاءَ بيدِ اللَّهِ ، وأنَّ اللَّهَ يبسُطُ الرزقَ[(٦)] لمَنْ يشاءُ مِن عبادِه فيوسعُه عليه ،

---

(١) البيت فى مجاز القرآن ١٢٢/٢، وجمهرة اللغة ١١٥/٣ .

(٢) فى م : « تراهم » .

(٣) هو الخليل بن أحمد . ينظر الكتاب ٦٣/٣، ٦٤ .

(٤) بعده فى ص ، ت١ : « إذا » .

(٥) فى ص ، ت١ : « معلقة » .

(٦) فى ص ، ت١ : « رزقه » .

ويَقْدِرُ على مَن أراد فيضيقُه عليه ؟! ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ . يقولُ : إنَّ فى بسطِه ذلك على من بسَطه عليه ، وقَدْرِه على من قَدَره عليه ، ومخالفتِه بينَ مَنْ خالفَ بينَه من عبادِه فى الغنى والفقرِ - لدلالةً واضحةً لمن صدَّق حججَ اللَّهِ ، وأقرَّ بها إذا عايَنها ورآها .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : فأَعْطِ يا محمدُ ذا القرابةِ منك حقَّه عليك من الصِّلةِ والبرِّ ، والمسكينَ وابنَ السبيلِ ما فرَض اللَّهُ لهما فى ذلك .

كما **حدَّثنا** ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا غُندرٌ ، عن عوفٍ ، عن الحسنِ : ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ . قال : هو أنْ تُوفِّيَهم حقَّهم إنْ كان عندَك يسرٌ ، وإن لم يكنْ عندَك فقلْ لهم قولًا ميسورًا ؛ قُلْ لهم الخيرَ[1] .

وقولُه : ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : إيتاءُ هؤلاء حقوقَهم التى أَلزَمها اللَّهُ عبادَه خيرٌ للذين يريدون اللَّهَ بإتيانِهم ذلك ، ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ . يقولُ : ومَنْ يفعلْ ذلك مبتغيًا وجهَ اللَّهِ به ، فأولئك هم المُنجحون ، المُدْرِكون طَلِباتِهم عندَ اللَّهِ ، الفائزون بما ابتغَوْا والتمسوا بإيتائِهم[2] إياهم ما آتَوا .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

---

(١) ذكره القرطبى فى تفسيره ١٤/٣٥ .

(٢) فى ت١ : « بإتيانهم » .

يقولُ تعالى ذكرُه : وما أعطيتم أيُّها الناسُ بعضُكم بعضًا من عطيةٍ ؛ لتزدادَ فى أموالِ الناسِ ، برجوعِ ثوابِها إليه ، ممن أعطاه ذلك ، ﴿ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ . يقولُ : فلا يزدادُ ذلك عندَ اللَّهِ ؛ لأنَّ صاحبَه لم يُعطِه مَنْ أعطاه مبتغيًا به وجهَه . ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ ﴾ . يقولُ : وما أَعطيتم من صدقةٍ تريدون بها وجهَ اللَّهِ . ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ﴾ ، يعنى الذين يتصدَّقُون بأموالِهم ملتمسين بذلك وجهَ اللَّهِ ، ﴿ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ . يقولُ : هم الذين لهم الضِّعفُ من الأجرِ والثوابِ . من قولِ العربِ : أصبح القومُ مُسمِنين مُعْطِشين . إذا سمِنتْ إبلُهم وعطِشتْ .

وبنحوِ الذى قلْنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

٤٦/٢١ / ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ . قال : هو ما يُعْطِى الناسُ بينَهم بعضُهم بعضًا ، يُعْطِى الرجلُ الرجلَ العطيةَ ، يُرِيدُ أن يُعْطَى أكثرَ منها[1] .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن منصورِ ابنِ صفيةَ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ : ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ ﴾ . قال : هو الرجلُ يُعْطِى الرجلَ العطيةَ لِيُثِيبَه[2] .

قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيانُ ، عن منصورِ ابنِ صَفِيَّةَ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ مثلَه .

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ١٠٣/٢ من طريق قتادة عن ابن عباس ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٥٦/٥ إلى ابن أبى حاتم مطولًا ، وينظر تفسير القرطبى ٣٦/١٤ ، وتفسير ابن كثير ٣٢٤/٦ .

(٢) ذكره البغوى فى تفسيره ٢٧٣/٦ ، وينظر تفسير القرطبى ٣٦/١٤ .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنى أبى ، عن سفيانَ ، عن منصورِ ابنِ صفيةَ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ : ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ . قال : الرجلُ يُعْطِى ليُثابَ عليه .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ ﴾ . قال : الهَدايا .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنا سفيانُ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : هى الهدايا .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ ﴾ . قال : يُعْطِى مالَه يَبْتَغِى أفضلَ منه[1] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا ابنُ فُضَيْلٍ ، عن ابنِ أبى خالدٍ ، عن إبراهيمَ ، قال : هو الرجلُ يُهْدِى إلى الرجلِ الهديةَ ، ليثيبَه أفضلَ منها[2] .

قال : ثنا محمدُ بنُ حميدٍ المَعْمَرىُّ ، عن معمرٍ ، عن ابنِ طاوسٍ ، عن أبيه ، قال : هو الرجلُ يُعْطِى العطيةَ ويُهْدِى الهديةَ ؛ ليُثابَ أفضلَ مِن ذلك ، ليس فيه أجرٌ ولا وِزْرٌ[3] .

---

(١) تفسير مجاهد ص ٥٣٩ ، وذكره الحافظ فى التغليق ٢٧٩/٤ عن المصنف ، وأخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ١٠٤/٢ من طريق ابن أبى نجيح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٥٦/٥ إلى الفريابى وابن المنذر وابن أبى حاتم .

(٢) ذكره القرطبى فى تفسيره ٣٦/١٤ .

(٣) ذكره الطوسى فى التبيان ٢٢٩/٨ عن ابن طاوس عن أبيه ، وينظر تفسير القرطبى ٣٦/١٤ .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ . قال : ما أَعْطَيْتَ مِن شيءٍ تُرِيدُ مَثابةَ الدنيا ، ومجازاةَ الناسِ ، ذاك الربا الذى لا يَقْبَلُه اللَّهُ ، ولا يَجزِى به[(١)] .

حُدِّثْتُ عن الحسينِ ، قال : سمِعْتُ أبا معاذٍ يقولُ : أخبرنا عبيدٌ ، قال : سمِعْتُ الضحاكَ يقولُ فى قولِه : ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ ﴾ . فهو ما يَتَعاطَى الناسُ بينَهم ويَتَهادَوْن ؛ يُعْطِى الرجلَ العطيةَ ؛ ليُصِيبَ منه أفضلَ منها ، [٢/٥٩٢و] وهذا للناسِ عامةً ، وأما قولُه : ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾ [المدثر : ٦] . فهذا للنبىِّ ﷺ خاصةً ، لم يَكُنْ له أن يُعْطِىَ إلا للَّهِ ، ولم يَكُنْ يُعْطِى ليُعْطَى أكثرَ منه[(٢)] .

وقال آخرون : إنما عُنِى بهذا الرجلُ يُعْطِى مالَه الرجلَ ليُعِينَه بنفسِه ، ويَخْدُمَه ويَعودَ عليه نفعُه ، لا لطلبِ أجرٍ مِن اللَّهِ .

ذكرُ مَن قال ذلك / ٤٧/٢١

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ومحمدُ بنُ فُضَيْلٍ ، عن زكريا ، عن عامرٍ : ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ ﴾ . قال : هو الرجلُ يَلتزِقُ[(٣)] بالرجلِ ، فيَخِفُّ له ، ويَخْدُمُه ، ويسافرُ معه ، فيَجْعَلُ له ربحَ بعضِ مالِه ؛ ليَجْزِيَه ، وإنما أعْطاه التماسَ عونِه ، ولم يُرِدْ وجهَ اللَّهِ[(٤)] .

وقال آخرون : هو إعطاءُ الرجلِ مالَه ؛ ليُكثِّرَ به مالَ مَن أعْطاه ذلك ، لا لطلبِ

---

(١) ينظر تفسير البغوى ٦/٢٧٣ ، وتفسير ابن كثير ٦/٣٢٤ .

(٢) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/١٠٤ عن عبد العزيز بن أبى رواد عن الضحاك ، وينظر تفسير البغوى ٦/٢٧٣ ، وتفسير ابن كثير ٦/٣٢٤ .

(٣) فى ص ، م : « يلزق » . وينظر تفسير البغوى ٦/٢٧٣ .

(٤) ذكره البغوى فى تفسيره ٦/٢٧٣ عن الشعبى . وينظر تفسير ابن كثير ٦/٣٢٤ .

ثوابِ اللَّهِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن مغيرةَ ، عن أبى حَصِينٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ ﴾ . قال : ألم تَرَ إلى الرجلِ يقولُ للرجلِ : لأُمَوِّلَنَّك . فيُعْطِيه ، فهذا لا يَرْبو عندَ اللَّهِ ؛ لأنه يُعْطِيه لغيرِ اللَّهِ ، ليُثْرِىَ مالَه[(١)] .

قال : ثنا عمرُو بنُ عبدِ الحميدِ الآمُلِىُّ ، قال : ثنا مرْوانُ بنُ معاويةَ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، قال : سمعْتُ إبراهيمَ النَّخَعىَّ يقولُ فى قولِه : ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ . قال : كان هذا فى الجاهليةِ ، يُعْطِى أحدُهم ذا القَرابةِ المالَ يُكَثِّرُ به مالَه[(٢)] .

وقال آخرون : ذلك للنبىِّ ﷺ خاصةً ، وأما لغيرِه فحلالٌ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن ابنِ[(٣)] أبى رَوَّادٍ ، عن الضحاكِ : ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ . قال : هذا للنبىِّ ﷺ ، هذا الربا الحلالُ[(٤)] .

وإنما اخْتَرْنا القولَ الذى اخْتَرْناه فى ذلك ؛ لأنه أظهرُ معانيه .

---

(١) ينظر تفسير القرطبى ١٤/٣٧ .

(٢) ذكره البغوى فى تفسيره ٦/٢٧٣ ، وينظر تفسير القرطبى ١٤/٣٧ .

(٣) سقط من : م . وينظر تهذيب الكمال ١٨/١٣٦ .

(٤) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/١٠٤ عن عبد العزيز بن أبى رواد عن الضحاك .

واختَلَفَت القرأةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرأَتْه عامةُ قرأةِ الكوفةِ والبصرةِ وبعضُ أهلِ مكةَ : ﴿ لِّيَرْبُوَا۟ ﴾ . بفتحِ الياءِ مِن « يربو » ، بمعنى : وما آتَيتُم مِن ربًا لِيَرْبُوَ ذلك الربا فى أموالِ الناسِ[(١)] .

وقرأ ذلك عامةُ قرأةِ أهلِ المدينةِ : (لتُرْبُوا) . بالتاءِ مِن « تُرْبو » وضمِّها ، بمعنى : وما آتَيتُم مِن ربًا لتُرْبوا أنتم فى أموالِ الناسِ[(٢)] .

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك عندَنا ، أنهما قراءتان مَشْهورتان فى قرأةِ الأمصارِ ، مع تقارُبِ معنَيَيْهما ؛ لأن أربابَ المالِ إذا أرْبَوْا رَبا المالُ ، وإذا رَبَا المالُ فبإرْباءِ أربابِه إياه رَبَا . فإذ كان ذلك[(٣)] ، فبأىِّ القراءتين قرَأ القارئُ فمصيبٌ .

وأما قولُه : ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ . فإنَّ أهلَ التأويلِ قالوا فى تأويلِه نحوَ الذى قلْنا .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ . قال : هذا الذى يَقْبَلُه اللَّهُ ويُضْعِفُه لهم عشرَ أمثالِها ، وأكثرَ مِن ذلك[(٤)] .

/**حُدِّثْتُ** عن عبدِ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادةَ ، قال : قال ابنُ عباسٍ ٤٨/٢١
قولَه : ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ . قال : هى

---

(١) هى قراءة ابن كثير وأبى عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى . ينظر السبعة ص ٥٠٧ .

(٢) هى قراءة نافع . السبعة ص ٥٠٧ .

(٣) بعده فى م : « كذلك » .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٥٦/٥ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

الهبةُ ، يَهَبُ الشيءَ ، يُرِيدُ أن يُثابَ عليه أفضلَ منه ، فذلك الذى لا يَرْبو عندَ اللَّهِ ، لا يُؤْجَرُ فيه صاحبُه ، ولا إثمَ عليه ، ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ ﴾ . قال : هى الصدقةُ ، ﴿ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾[1] .

قال معمرٌ : قال ابنُ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَ ذلك[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى* : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه للمشركين به ، مُعَرِّفَهم قُبْحَ فعلِهم ، وخُبثَ صنيعِهم : اللَّهُ ، أيُّها القومُ ، الذى لا تَصْلُحُ العبادةُ إلا له ، ولا يَنْبَغى أن تكونَ لغيرِه ، هو الذى خلَقَكم ولم تكونوا شيئًا ، ثم رزَقَكم وخوَّلكم ، ولم تكونوا تَمْلِكون قبلَ ذلك ، ثم هو يُمِيتُكم مِن بعدِ أن خلَقَكم أحياءً ، ثم يُحْيِيكم مِن بعدِ مَماتِكم لبعثِ القيامةِ .

كما **حدَّثنا** بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ للبعثِ بعدَ الموتِ[3] .

وقولُه : ﴿ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : هل مِن آلهتِكم وأوثانِكم التى تَجعلونهم للَّهِ فى عبادتِكم إياه شركاءَ مَن يَفْعَلُ مِن ذلكم مِن شىءٍ ، فيَخْلُقُ ، أو يَرْزُقُ ، أو يُميتُ ، أو يَنْشُرُ ؟ وهذا مِن اللَّهِ

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٢/١٠٣ ، ١٠٤ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/١٥٦ إلى ابن أبى حاتم .

(٢) تفسير عبد الرزاق ٢/١٠٤ .

(*) إلى هنا ينتهى الخرم الذى فى ت٢ والمشار إلى بدايته فى ص ٥٠٠ .

(٣) تقدم تخريجه فى ١/٤٤٦ .

تَقْريعٌ لهؤلاء المشركين .

وإنما معنى الكلامِ أن شركاءَهم لا تَفْعَلُ شيئًا من ذلك ، فكيف يَعْبُدُون[١] مِن دونِ اللَّهِ مَن[٢] لا يَفْعَلُ شيئًا مِن ذلك ؟!

ثم برَّأ نفسَه تعالى ذكرُه عن الفِرْيةِ التى افْتَراها هؤلاء المشركون عليه ، بزعمِهم أن آلهتَهم له شركاءُ ، فقال جلَّ ثناؤُه : ﴿ سُبْحَـٰنَهُۥ ﴾ . أى : تنزيهًا للَّهِ وتَبْرِئةً ، ﴿ وَتَعَـٰلَىٰ ﴾ . يقولُ : وعُلُوًّا له ﴿ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ . يقولُ : عن شركِ هؤلاء المشركين به .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

[٢/٥٩٢ظ] ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ﴾ : لا واللَّهِ ، ﴿ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ؛ يُسَبِّحُ نفسَه إذ قيل عليه البُهْتانُ[٣] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ .

/ يقولُ تعالى ذكرُه : ظَهرَت المعاصى فى برِّ الأرضِ وبحرِها بكسبِ أيدى الناسِ ما نهاهم اللَّهُ عنه . ٤٩/٢١

واختَلَف أهلُ التأويلِ فى المرادِ مِن قولِه : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ ؛

---

(١) فى ص ، م : « يعبد » ، وفى ت١ : « تعبد » .

(٢) فى ت٢ : « ما » .

(٣) تقدم تخريجه فى ١٤/٦٠٤ .

فقال بعضُهم: عُنِى بالبرِّ الفَلَواتُ، وبالبحرِ الأمصارُ والقرى التى على المياهِ والأنهارِ.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو كريبٍ، قال: ثنا عَثَّامٌ، قال: ثنا النضرُ بنُ عربىٍّ، عن مجاهدٍ: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ الآيةَ، قال: إذا ولَّى سعَى بالعداءِ[1] والظلمِ، فيَحْبِسُ اللَّهُ بذلك القَطْرَ، فَيُهْلِكُ الحَرْثَ والنَّسْلَ، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]. قال: ثم قرأ مجاهدٌ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ الآية. قال: ثم قال: أمَا واللَّهِ ما هو بحرَكم هذا، ولكنْ كلُّ قريةٍ على ماءٍ جارٍ فهو بحرٌ[2].

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ، قال: ثنا أبى، عن النضرِ بنِ عربىٍّ، عن عكرمةَ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾. قال: أمَا إنى لا أقولُ بحرُكم هذا، ولكن كلُّ قريةٍ على ماءٍ جارٍ[3].

قال[4]: ثنا يزيدُ بنُ هارونَ، عن عمرِو بنِ فَرُّوخَ، عن حبيبِ بنِ الزبيرِ، عن عكرمةَ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾. قال: إن العربَ تُسَمِّى الأمصارَ بحرًا[5].

حدَّثنا بشرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ قولَه: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي

---

(١) فى م: «بالتعدى».

(٢) تقدم تخريجه فى ٣/٥٨٣.

(٣) ينظر تفسير ابن كثير ٦/٣٢٥.

(٤) سقط من: ت١.

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/١٥٦ إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم، وينظر تفسير البغوى ٦/٢٧٤.

﴿ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾ . قال : هذا قبلَ أن يَبْعَثَ اللَّهُ نبيَّه محمدًا ﷺ ، امْتلأت[1] ضلالةً وظلمًا ، فلما بعَث اللَّهُ نبيَّه رجَع راجعون مِن الناسِ[2] .

قولُه : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ ؛ أما البرُّ فأهلُ العمودِ[3] ، وأما البحرُ فأهلُ القرى والرِّيفِ .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ . قال : الذنوبُ . وقرَأ : ﴿ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا أبو عامرٍ ، قال : ثنا قُرَّةُ ، عن الحسنِ فى قولِه : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾ . قال : أفْسَدَهم اللَّهُ بذنوبِهم ، فى بحرِ الأرضِ وبرِّها ، بأعمالِهم الخبيثةِ[4] .

وقال آخرون : بل عُنِى بالبَرِّ ظَهْرُ الأرضِ ؛ الأمصارُ وغيرُها ، وبالبحرِ البحرُ المعروفُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ . قال : فى البرِّ : ابنُ آدمَ الذى قتَل أخاه ، وفى البحرِ : الذى

---

(١) بعده فى تفسير البغوى : « الأرض » .

(٢) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/١٠٤ عن معمر عن قتادة مطولًا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/١٥٧ إلى المصنف وابن أبى حاتم ، وينظر التبيان ٨/٢٣١ .

(٣) العماد والعمود : الخشبة التى يقوم عليها البيت ، وقال الليث : يقال لأصحاب الأخبية الذين لا ينزلون غيرها : هم أهل عمود وأهل عماد . ينظر اللسان (ع م د) .

(٤) أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه ١٣/٥٠٢ من طريق قرة به .

كان يَأْخُذُ كلَّ سفينةٍ غَصْبًا[١] .

حدَّثنى يعقوبُ ، قال : قال أبو بشرٍ ، يعنى ابنَ عُلَيَّةَ ، قال : سمِعْتُ ابنَ أبى نجيحٍ يقولُ فى قولِه : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾ . قال : بقتلِ ابنِ آدمَ ، والذى كان يَأْخُذُ كلَّ سفينةٍ غصبًا .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، عن فُضَيْلِ بنِ مرزوقٍ ، عن عطيةَ : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ . قال : قلتُ : هذا البرُّ ، والبحرُ أىُّ فسادٍ فيه ؟ قال : فقال : إذا قلَّ المطرُ ، قلَّ الغَوْصُ[٢] .

٥٠/٢١ / **حدَّثنى** محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ ﴾ . قال : قتلُ ابنِ آدمَ أخاه ، ﴿ وَٱلْبَحْرِ ﴾ . قال : أخذُ المَلِكِ السفنَ غَصْبًا[٣] .

وأولى الأقوالِ فى ذلك بالصوابِ أنَّ اللَّهَ تعالى ذكرُه أَخْبر أنَّ الفسادَ قد ظهَر فى البرِّ والبحرِ . والبرُّ[٤] عندَ العربِ[٥] : الأرضُ القِفارُ ، والبحرُ بحران ؛ بحرٌ مِلْحٌ ، وبحرٌ عَذْبٌ ، وهما جميعًا عندَهم بحرٌ ، ولم يَخْصُصْ جلَّ ثناؤه الخبرَ عن ظهورِ ذلك فى بحرٍ دونَ بحرٍ ، فذلك على ما وقَع عليه اسمُ بحرٍ ؛ عذبًا كان أو مِلْحًا . وإذا كان[٦] كذلك ، دخَل القرى التى على الأنهارِ والبحارِ .

---

(١) أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه ٣٦٤/٩ عن وكيع به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٥٦/٥ ، ١٥٧ إلى الفريابى وابن المنذر وابن أبى حاتم .

(٢) فى ت١ ، ت٢ : « العوض » . والأثر ذكره القرطبى فى تفسيره ٤٠/١٤ ، وينظر تفسير البغوى ٢٧٤/٦.

(٣) تفسير مجاهد ص ٥٣٩ .

(٤) سقط من : م .

(٥) بعده فى م : « فى » .

(٦) بعده فى م : « ذلك » .

فتأويلُ الكلامِ إذن إذ كان الأمرُ كما وصفتُ : ظهرتْ معاصى اللَّهِ فى كلِّ مكانٍ ؛ من برٍّ وبحرٍ ﴿ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾ ، أى : بذنوبِ الناسِ ، وانْتَشَر الظلمُ فيهما[1] .

وقولُه : ﴿ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ ﴾ . يقولُ جلَّ ثناؤُه : ليُصيبَهم بعقوبةِ بعضِ أعمالِهم التى عمِلوا ، ومعصيتِهم التى عَصَوْا ، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ . يقولُ : كى يُنيبوا إلى الحقِّ ، ويرجِعوا إلى التوبةِ ، ويتركوا معاصىَ اللَّهِ .

وبنحوِ الذى قلْنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَنْ قال ذلك

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا ابنُ فُضَيْلٍ ، عن أشعثَ ، عن الحسنِ : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ . قال : يتوبون .

قال : ثنا ابنُ مهديٍّ ، عن سفيانَ ، عن السدىِّ ، عن أبى الضحى ، عن مسروقٍ ، [٢/٥٩٣و] عن عبدِ اللَّهِ : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ : يومَ بدرٍ ، لعلهم يتوبون[2] .

قال : ثنا أبو أسامةَ ، عن زائدةَ ، عن منصورٍ ، عن إبراهيمَ : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ . قال : إلى الحقِّ[3] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ : لعلَّ راجعًا أن يرجع ، لعلَّ تائبًا أن يتوبَ ، لعلَّ مستعتِبًا أنْ يَسْتَعتِبَ .

---

(١) فى ص ، ت١ ، ت٢ : « فيها » .

(٢) أخرجه الحاكم ٤/٢٥٣ من طريق سفيان به .

(٣) أخرجه ابن أبى شيبة ١٢/٥٥٣ ، ٥٥٤ عن أبى أسامة به .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا أبو عامرٍ ، قال : ثنا قرةُ ، عن الحسنِ : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ . قال : يرجِعُ مَنْ بعدَهم[1] .

واختلفت القرأةُ فى قراءةِ قولِه : ﴿ لِيُذِيقَهُم ﴾ ، فقرأ ذلك عامةُ قرأةِ الأمصارِ : ﴿ لِيُذِيقَهُم ﴾ . بالياءِ ، بمعنى : ليذيقَهم اللَّهُ بعضَ الذى عمِلوا[2] . وذُكِرَ أنَّ أبا عبدِ الرحمنِ السُّلَمىَّ قرأ ذلك بالنونِ على وجهِ الخبرِ من اللَّهِ عن نفسِه بذلك[3] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

٥١/٢١ / يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : قلْ يا محمدُ لهؤلاء المشركين باللَّهِ مِن قومِك : سِيروا فى البلادِ ، فانْظُروا إلى مساكنِ الذين كفَروا باللَّهِ مِن قبلِكم وكذَّبوا رسلَه ، كيف كان آخرُ أمرِهم ، وعاقبةُ تكذيبِهم رسلَ اللَّهِ وكفرِهم ، ألم نُهْلِكْهم بعذابٍ منَّا ، ونَجْعَلْهم عبرةً لمن بعدَهم ؟ ﴿ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴾ . يقولُ : فعَلْنا ذلك بهم ؛ لأنَّ أكثرَهم كانوا مشركين باللَّهِ مثلَهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : فوجِّهْ وجهَك يا محمدُ نحوَ الوجهِ الذى وجَّهك إليه ربُّك ، ﴿ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ ﴾ : لطاعةِ ربِّك والملةِ المستقيمةِ التى لا اعْوِجاجَ فيها عن الحقِّ ، ﴿ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : مِن قبلِ مجىءِ

---

(١) أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه ٥٠٢/١٣ من طريق قرة به .

(٢) هى قراءة نافع وأبى عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى . ينظر السبعة ص ٥٠٧ .

(٣) ينظر البحر المحيط ١٧٦/٧ . وهى أيضا قراءة ابن كثير . السبعة ص ٥٠٧ .

يومٍ[١] مِن أيامِ اللَّهِ ، لا مردَّ[٢] لمجيئِه ؛ لأن اللَّهَ قد قضَى بمجيئِه ، فهو لا مَحالةَ جاءٍ . ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾ . يقولُ : يومَ يَجِيءُ ذلك اليومُ يَصَّدَّعُ الناسُ . يقولُ : يَتَفَرَّقُ الناسُ فِرْقتين - مِن قولِهم : صدَعْتُ الغنمَ صِدْعَتَيْن[٣] . إذا فرَقْتَها فِرْقتين - فريقٌ فى الجنةِ ، وفريقٌ فى السعيرِ[٤] .

وبنحوِ الذى قلنا فى تأويلِ ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ ﴾ : الإسلامِ ، ﴿ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾ ؛ فريقٌ فى الجنةِ ، وفريقٌ فى السعيرِ[٥] .

حدَّثنى علىٌّ ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾ . [٦]يقولُ : يَتَفَرَّقون[٧] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ يَصَّدَّعُونَ ﴾[٦] . قال : يَتَفَرَّقون ؛ إلى الجنةِ وإلى النارِ[٨] .

---

(١) بعده فى ت٢ : « من الله » .

(٢) بعده فى ص ، م : « له » .

(٣) فى ت١ : « فرقتين » .

(٤) ينظر معانى القرآن ٢/٣٢٥ .

(٥) ذكره الطوسى فى تفسيره ٨/٢٣٢ ، ٢٣٣ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/١٥٧ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم .

(٦ - ٦) سقط من : ت٢ .

(٧) أخرجه ابن أبى حاتم - كما فى تغليق التعليق ٤/ ٢٧٩، والإتقان للسيوطى ٢/ ٢٦- من طريق أبى صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/١٥٧ إلى ابن المنذر .

(٨) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/١٥٧ إلى ابن أبى حاتم .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : مَن كفَر باللَّهِ فعليه أوزارُ كفرِه ، وآثامُ جحودِه نِعَمَ ربِّه ، ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾ . يقولُ : ومَن أطاعَ اللَّهَ ، فعمِل بما أمَره به فى الدنيا ، وانْتَهى عما نهاه عنه فيها ؛ ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ . يقولُ : فلأنفسِهم يَسْتَعِدُّون ، ويُسَوُّون المضجعَ ؛ ليَسْلَموا مِن عقابِ ربِّهم ، ويَنْجُوا مِن عذابِه ؛ كما قال الشاعرُ[(١)] :

امْهَدْ لنفسِك حانَ السَّقْمُ والتَّلَفُ ولا تُضِيعَنَّ نفسًا ما لها خَلَفُ

٥٢/٢١ / وبنحوِ الذى قلْنا فى تأويلِ ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ[(٢)] ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ . قال : يُسَوُّون المَضاجعَ[(٣)] .

حدَّثنا ابنُ المثنى والحسينُ[(٤)] بنُ يزيدَ الطَّحَّانُ وابنُ وكيعٍ وأبو عبدِ الرحمنِ العَلائىُّ ، قالوا : ثنا يحيى بنُ سُلَيْمٍ الطائفىُّ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ . قال : فى القبرِ[(٥)] .

---

(١) هو سليمان بن يزيد العدوى . والبيت منسوب إليه فى مجاز القرآن ١٢٤/٢ .

(٢) بعده فى ت٢ : « جميعا » .

(٣) تفسير مجاهد ص ٥٤٠ ، وأخرجه الفريابى - كما فى تغليق التعليق ٢٧٩/٤ - عن ورقاء به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٥٧/٥ إلى ابن أبى شيبة وابن أبى حاتم وابن المنذر .

(٤) فى ت١ : « الحسن » . وينظر تهذيب الكمال ٥٠١/٦ .

(٥) أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء ٢٩٧/٣ ، والبيهقى فى عذاب القبر (١٥٥) من طريق يحيى بن سليم به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٥٧/٥ إلى ابن أبى شيبة وابن أبى حاتم وابن المنذر .

حدَّثنا إبراهيمُ بنُ سعيدٍ الجَوْهَرِيُّ ، قال : ثنا يحيى بنُ سُلَيْمٍ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ . قال : للقبرِ .

حدَّثنا نصرُ بنُ علىٍّ ، قال : ثنا يحيى بنُ سُلَيْمٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى نَجيحٍ ، قال : سمِعْتُ مجاهدًا يقولُ فى قولِه : ﴿ فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ . قال : فى القبرِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾ ؛ ﴿ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ باللَّهِ ورسولِه ، ﴿ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ . يقولُ : وعمِلوا بما أمَرَهم اللَّهُ - ﴿ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ الذى وعَد مَن أطاعه فى الدنيا أن يَجْزِيَه يومَ القيامةِ ، ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : إنما خصَّ بجزائِه مِن فضلِه الذين آمنوا وعمِلوا الصالحاتِ دونَ مَن كفَر باللَّهِ ؛ إنه لا يُحِبُّ أهلَ الكفرِ به . واسْتَأْنَف الخبرَ بقولِه : ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ، وفيه المعنى الذى وصَفْتُ .

[٢/٥٩٣ظ] **القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى** : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ومِن أدلتِه على وحدانيتِه ، وحججِه عليكم على أنه إلهُ كلِّ شىءٍ - ﴿ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ ﴾ بالغَيْثِ والرحمةِ ، ﴿ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ . يقولُ : ولِيُنَزِّلَ عليكم من رحمتِه - وهى الغيثُ الذى يُحْيى به البلادَ - ولِتَجْرِيَ السفنُ فى البحارِ بها بأمرِه إياها ، ﴿ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ . يقولُ : ولِتَلْتَمِسوا مِن أرزاقِه ومَعايشِكم التى قسَمَها بينَكم ، ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ . يقولُ : ولِتَشْكُروا

ربِّكم على ذلك[1] ؛ أرْسَل هذه الرياحَ مُبَشِّراتٍ .

٥٣/٢١ / وبنحوِ الذى قلْنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ ﴾ . قال : بالمطرِ[2] .

وقالوا فى قولِه : ﴿ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ مثلَ الذى قلْنا فيه .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ قولَه : ﴿ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ . قال : المطرِ[2] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ : ﴿ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ : المطرِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه مُسَلِّيًا نبيَّه محمدًا ﷺ ، فيما يَلْقى من قومِه مِن الأذى

---

(١) بعده فى ت١ : « الذى » .

(٢) تفسير مجاهد ص ٥٤٠ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/١٥٧ إلى الفريابى وابن أبى شيبة وابن المنذر وابن أبى حاتم .

فيه، بما لَقِى مَنْ قبلَه مِن رسلِه من قومِهم، ومعلِّمَه[1] سُنتَه فيهم وفى قومِهم، وأنه سالكٌ به وبقومِه سنتَه فيهم وفى أممِهم: ولقد أرسلنا يا محمدُ مِن قبلِك رسلًا إلى قومِهم الكفرةِ، كما أرسَلْناك إلى قومِك العابدِى الأوثانِ من دونِ اللَّهِ، ﴿فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾، يعنى: بالواضِحاتِ مِن الحُجَجِ على صدقِهم وأنهم للَّهِ رسلٌ، كما جئتَ أنت قومَك بالبيناتِ، فكذَّبوهم كما كذَّبك قومُك، وردُّوا عليهم ما جاءوهم به من عندِ اللَّهِ، كما ردُّوا عليك ما جئتَهم به من عندِ ربِّك، ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾. [2]يقولُ: فانتقمنا من الذين أَجْرموا[2] الآثامَ، واكتسبوا السيئاتِ من قومِهم، ونحن فاعلو ذلك كذلك بمجرمى قومِك، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. يقولُ: ونجَّينا الذين آمنوا باللَّهِ وصدَّقوا رسلَه، إذ جاءهم بأسُنا، وكذلك نفعلُ بك وبمن آمَن بك من قومِك، وكان حقًّا علينا نصرُ المؤمنين على الكافرين، ونحن ناصروك ومَن آمن بك على مَنْ كفَر بك، ومُظْفِرُوك[3] بهم.

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

يقولُ تعالى ذكرُه: اللَّهُ يرسلُ الرياحَ ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾. يقولُ: فتُنشئُ الرياحُ سحابًا. وهى جمعُ سحابةٍ، ﴿فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾. يقولُ: فيَنشُرُه اللَّهُ، ويَجمَعُه فى السماءِ كيفَ يشاءُ. وقال: ﴿فَيَبْسُطُهُۥ﴾. فوحَّد / الهاءَ، ٥٤/٢١

(١) فى ت٢: «معلمهم».

(٢ - ٢) سقط من: ت٢.

(٣) فى ص، ت١، ت٢: «مظفرك».

وأخْرَجها[١] مُخرَجَ كنايةِ المذكرِ ، والسحابُ جمعٌ كما وصفتُ ، ردًّا على لفظِ السحابِ ، لا على معناه ، كما يقالُ : هذا تمرٌ جيدٌ .

وبنحوِ الذى قلنا فى تأويلِ قولِه : ﴿ فَيَبْسُطُهُۥ ﴾ . قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[٢] : يجمَعُه[٣] .

وقولُه : ﴿ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا ﴾ . يقولُ : ويجعلُ السحابَ قِطعًا متفرِّقةً .

كما **حدَّثنا** بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ : ﴿ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا ﴾ . أى : قطعًا[٣] .

وقولُه : ﴿ فَتَرَى ٱلْوَدْقَ ﴾ . يعنى : المطرَ ، ﴿ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾ . يعنى : من بينِ السحابِ .

كما **حدَّثنا** بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾ .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن فِطْرٍ[٤] ، عن حبيبٍ ، عن عبيدِ بنِ عميرٍ : ﴿ يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾ . [٥]قال : الرياحُ أربعٌ ؛ يبعثُ اللَّهُ ريحًا ، فتَقُمُّ الأرضَ قَمًّا ، ثم يَبْعثُ الريحَ الثانيةَ فتُثِيرُ سحابًا[٥] ، فيجعلُه فى السماءِ كِسَفًا ، ثم يَبْعثُ الريحَ

---

(١) فى م ، ت١ : « أخرج » .

(٢) بعده فى م : « و » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/١٥٧ إلى المصنف وابن أبى حاتم ، وذكره الحافظ فى الفتح ٨/٦٠٢ وعزاه إلى ابن أبى حاتم .

(٤) فى النسخ : « قطن » . وقد تقدم على الصواب فى ١٧/٣٣٥ .

(٥ - ٥) سقط من : ت٢ .

الثالثةَ ، فتؤلِّفُ بينَه فيجعلُه ركامًا ، ثم يَبْعثُ الريحَ الرابعةَ فتُمطِرُ[(١)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ فَتَرَى ٱلْوَدْقَ ﴾ . قال : القَطْرَ[(٢)] .

وقولُه : ﴿ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ . يقولُ : فإذا صرَف ذلك الوَدْقَ إلى أرضِ مَنْ أراد صرْفَه إلى أرضِه مِن خلقِه ، رأيتَهم يَستبشِرون بأنَّه صرَف ذلك إليهم ، ويَفرَحون .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : و[(٣)] كان هؤلاء الذين [٢/٥٩٤و] أصابهم اللَّهُ بهذا الغيثِ مِن عبادِه ، من قبلِ أنْ يُنَزَّلَ عليهم هذا الغيثُ ، من قبلِ هذا الغيثِ - ﴿ لَمُبْلِسِينَ ﴾ . يقولُ : لـمُكْتئبين حزِنين[(٤)] باحتباسِه عنهم .

كما **حدَّثنا** بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴾ . أى : قانطين .

واختلف أهلُ العربيةِ فى وجهِ تكريرِ ﴿ مِّن قَبْلِهِۦ ﴾ ، وقد تقدَّم قبلَ ذلك قولُه : ﴿ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم ﴾ ؛ فقال بعضُ نحويِّى البصرةِ[(٥)] : ردَّ ﴿ مِّن قَبْلِهِۦ ﴾

---

(١) تقدم تخريجه فى ١٧/٣٣٥ ، ٣٣٦ .

(٢) تفسير مجاهد ص ٥٤٠ ، وأخرجه الفريابى - كما فى تغليق التعليق ٤/٢٧٩ - عن ورقاء به .

(٣) بعده فى ت٢ : « إن » .

(٤) فى ت١ ، ت٢ : « حزينين » .

(٥) هو الأخفش . ينظر البحر المحيط ٧/١٧٨ .

على التوكيدِ، نحوَ قولِه : ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [الحجر : ٣٠] . وقال غيرُه[١] : ليس ذلك كذلك ؛ لأن مع : ﴿ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم ﴾ حرفًا ليس مع الثانيةِ . قال : فكأنه قال : من قبلِ التنزيلِ ، من قبلِ المطرِ . فقد اختلفتا ، وأما : ﴿ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ ، وُكِّد بأجمعين ؛ لأن « كلًّا » يكونُ اسمًا ويكونُ توكيدًا ، وهو قولُه : ﴿ أَجْمَعُونَ ﴾ .

والقولُ عندى فى قولِه : ﴿ مِّن قَبْلِهِۦ ﴾ : على وجهِ التوكيدِ .

٥٥/٢١ / **القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى** : ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

اختلَفت القرأةُ فى قراءةِ قولِه : ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ ﴾ ؛ فقرأتْه عامةُ قرأةِ أهلِ المدينةِ والبصرةِ وبعضُ الكوفيين : (إلى أثَرِ رَحْمَةِ اللَّهِ) . على التوحيدِ ، بمعنى : فانظرْ يا محمدُ ، إلى أثرِ الغيثِ الذى أصاب اللَّهُ به مَنْ أصاب من عبادِه ، كيف يُحْيى ذلك الغيثُ الأرضَ من بعدِ موتِها[٢] . وقرَأ ذلك عامةُ قرأةِ الكوفةِ : ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ ﴾ . على الجِمَاعِ ، بمعنى : فانظرْ إلى آثارِ الغيثِ الذى أصاب اللَّهُ به مَنْ أصاب ، كيف يُحيى اللَّهُ الأرضَ بعدَ موتِها[٣] .

والصوابُ من القولِ فى ذلك : أنهما قراءتان مشهورتان فى قَرَأةِ الأمصارِ ، متقاربتا المعنى ؛ وذلك أنَّ اللَّهَ إذا أحيا الأرضَ بغيثٍ أنزَله عليها ، فإنَّ الغيثَ أحياها بإحياءِ اللَّهِ إياها به ، وإذا أحياها الغيثُ ، فإنَّ اللَّهَ هو المحيى به ، فبأىِّ القراءتين قرَأ

---

(١) هو قطرب . المصدر السابق ١٧٩/٧ .

(٢) هى قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو وعاصم فى رواية أبى بكر . السبعة ص ٥٠٨ .

(٣) هى قراءة حمزة والكسائى وحفص عن عاصم . المصدر السابق ، الموضع السابق .

القارئُ فمصيبٌ .

فتأويلُ الكلامِ إذن : فانظرْ يا محمدُ ، إلى آثارِ الغيثِ الذى يُنزِّلُ اللَّهُ من السحابِ ، كيف يُحيى اللَّهُ به الأرضَ الميتةَ ، فيُنبتُها ويُعشِبُها ، من بعدِ موتِها ودثورِها .

﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ . يقولُ جلَّ ذكرُه : إن الذى يُحيى هذه الأرضَ بعدَ موتِها بهذا الغيثِ ، لَمُحيى الموتى من بعدِ موتِهم ، ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ، مع قدرتِه على إحياءِ الموتى ، ﴿ قَدِيرٌ ﴾ ، لا يعزُّ عليه شيءٌ أراده ، ولا يمتنعُ عليه فعلُ شيءٍ شاءه ، سبحانَه .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ولئن أرسَلْنا ريحًا ، مُفسدةً ما أَنبته الغيثُ الذى أنزلناه من السماءِ ، فرأى هؤلاء الذين أصابهم اللَّهُ بذلك الغيثِ الذى[1] حَيِيتْ[2] به أَرَضُوهم ، وأعشَبَتْ ونبتتْ به زروعُهم - ما أنبتَتْه أَرَضوهم بذلك الغيثِ مِن الزرعِ مُصْفَرًّا ، قد فسَد بتلك الريحِ التى أرسلناها ، فصار من بعدِ خُضْرتِه مصفرًّا ؛ لظلُّوا من بعدِ استبشارِهم وفرحِهم به ، يكفرون بربِّهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

---

(١) فى ص ، ت١ : « حتى » .

(٢) فى ت١ : « أحييت » .

يقولُ تعالى ذكرُه : ﴿ فَإِنَّكَ ﴾ يا محمدُ ﴿ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ . يقولُ : لا تجعلُ لهم أسماعًا يَفهمون بها عنك ما تقولُ لهم . وإنما هذا مثلٌ ، ومعناه : فإنك لا تقدِرُ أنْ تُفهِمَ هؤلاء المشركين الذين قد ختَم اللَّهُ على أسماعِهم ، فسلَبهم فَهْمَ ما يُتلى عليهم من مواعظِ تنزيلِه ، كما لا تَقدِرُ أن تُفهِمَ الموتى الذين [1] قد سلَبهم اللَّهُ أسماعَهم ، بأن تجعلَ لهم أسماعًا .

٥٦/٢١ / وقولُه : ﴿ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ ﴾ . يقولُ : وكما لا تَقدِرُ أنْ تُسمِعَ الصُّمَّ - الذين [1] قد سُلِبوا السمعَ - الدعاءَ ، إذا هم وَلَّوا عنك مُدْبرين ، كذلك لا تَقدِرُ أنْ تُوفِّقَ هؤلاء الذين قد سلَبهم اللَّهُ فَهْمَ آياتِ كتابِه ، لسماعِ ذلك وفهمِه .

وبنحوِ الذى قلْنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ : هذا مَثَلٌ ضرَبه اللَّهُ للكافرِ ، فكما لا يَسمَعُ الميتُ الدعاءَ ، كذلك لا يَسمَعُ الكافرُ ، ﴿ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ . يقولُ : لو أنَّ أصمَّ ولَّى مُدبرًا ثم ناديتَه لم يَسمَعْ ، كذلك الكافرُ لا يَسمَعُ ولا يَنتفِعُ بما يَسمَعُ [2] .

وقولُه : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : وما أنت يا محمدُ ، بمسدِّدٍ من أعماه اللَّهُ عن الاستقامةِ ، ومَحجةِ الحقِّ ، فلم يُوفِّقْه لإصابةِ

(١ - ١) سقط من : ت٢ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم ٩/٢٩٢١ من طريق سعيد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/١١٤ ، ١١٥ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

الرشدِ ، فصارِفه عن ضلالتِه التى هو عليها ، وركوبِه الجائرَ من الطرقِ ، إلى سبيلِ[(١)] الرشادِ . يقولُ : ليس ذلك بيدِك ولا إليك ، ولا يَقدِرُ على ذلك أحدٌ غيرى ؛ لأنى القادرُ على كلِّ شىءٍ . وقيل : ﴿ بِهَـٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ﴾ . [(٢)] ولم يُقلْ : من ضلالتِهم [(٢)] . لأن معنى الكلامِ ما وَصَفْتُ ، من أنه : وما أنت بصارِفِهم عنه . فحُمِل على المعنى ، ولو قيل : من ضلالتِهم . كان صوابًا ، وكان معناه : ما أنت بمانِعِهم من ضلالتِهم .

وقولُه : ﴿ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه : ما تُسمِعُ السماعَ الذى يَنتفِعُ به سامعُه فيعقِلَه ، إلا من يؤمنُ بآياتِنا ؛ [٢/٥٩٤ظ] لأن الذى يُؤمِنُ بآياتِنا إذا سمِع كتابَ اللَّهِ ، تدبَّره وفهِمه وعقَله ، وعمِل بما فيه ، وانتهى إلى حدودِ اللَّهِ التى حدَّ فيه ، فهو الذى يَسمَعُ السماعَ النافعَ .

وقولُه : ﴿ فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ . يقولُ : فهم خاضعون للَّهِ بطاعتِه ، متذلِّلون لمواعظِ كتابِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لهؤلاء المكذِّبين بالبعثِ من مشركى قريشٍ ، محتجًّا عليهم بأنه القادرُ على ذلك ، وعلى ما يشاءُ : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم ﴾ أيُّها الناسُ ، ﴿ مِّن ضَعْفٍ ﴾ . يقولُ : من نُطْفةٍ وماءٍ مَهِينٍ ، فأنشأكم بَشَرًا سويًّا ، ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ

---

(١) فى ص ، ت٢ : « سبل » .

(٢ - ٢) سقط من : ت٢ .

ضَعْفٍ قُوَّةً ﴾ . يقولُ : ثم جعَل لكم قوَّةً على التصرُّفِ ، من بعدِ خلقِه إياكم من ضَعْفٍ ، ومن بعدِ ضعفِكم بالصغرِ والطفولةِ ، ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾ . يقولُ : ثم أحدَث لكم الضعفَ بالهَرَمِ والكبرِ عما كنتم عليه أقوياءَ فى شبابِكم ، وشيبةً .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك / ٥٧/٢١

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ﴾ . أى : مِن نُطْفَةٍ ، ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا ﴾ : الهَرَمَ ، ﴿ وَشَيْبَةً ﴾ : الشَّمَطَ[1] .

وقولُه : ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : يَخلُقُ ما يشاءُ مِن ضَعْفٍ وقُوَّةٍ وشبابٍ وشَيْبٍ ، ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بتَدْبيرِ خلقِه ، ﴿ ٱلْقَدِيرُ ﴾ على ما يشاءُ ، لا يَمتنِعُ عليه شىءٌ أرادَه ، فكما فعَل هذه الأشياءَ ، فكذلك يُميتُ خلقَه ويُحْيِيهم إذا شاء . يقولُ : واعلَموا أن الذى فعَل هذه الأفعالَ بقُدْرتِه يُحيى الموتى إذا شاء .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ويومَ تجىءُ ساعةُ البعثِ ، فيُبْعَثُ الخلقُ مِن قبورِهم ﴿ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ ، وهم الذين كانوا يكفُرون باللَّهِ فى الدنيا ، ويكتسِبون فيها الآثامَ ، وإقسامُهم : حَلِفُهم باللَّهِ . ﴿ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ . يقولُ : يُقْسِمون بأنهم لم يَلْبثُوا فى قبورِهم غيرَ ساعةٍ واحدةٍ . يقولُ اللَّهُ جلَّ ثناؤُه : ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ فى

(١) الشمط : بياض شعر الرأس يخالط سواده . اللسان (ش م ط) . والأثر عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/١٥٨ إلى ابن أبى حاتم .

الدنيا ﴿ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴾ . يقولُ : كَذَبوا فى قيلِهم وقَسَمِهم : ما لَبِثْنا غيرَ ساعةٍ . كما كانوا فى الدنيا يَكْذِبون ويَحْلِفون على الكذبِ وهم يعلَمون .

وبنحوِ الذى قلْنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴾ . أى : يكذِبون فى الدنيا . وإنما يعنى بقولِه : ﴿ يُؤْفَكُونَ ﴾ : عن الصدقِ ، ويُصَدُّون عنه إلى الكذبِ[1] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

كان قتادةُ يقولُ : هذا مِن المُقَدَّمِ الذى معناه التأخيرُ .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ﴾ . قال : هذا مِن مَقاديمِ الكلامِ ، وتأويلُها : وقال الذين أُوتوا الإيمانَ والعلمَ : ﴿ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾[2] .

وذُكر عن ابنِ جُرَيجٍ أنه كان يقولُ : معنى ذلك : وقال الذين أوتُوا العلمَ بكتابِ اللَّهِ ، والإيمانَ باللَّهِ وكتابِه .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٥٨/٥ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم .

(٢) ينظر تفسير البغوى ٢٧٨/٦ ، والقرطبى ٤٨/١٤ . والكلام فيهما على غير ما ذكر المصنف إذ فيهما : وفى الكلام تقديم وتأخير ؛ أى : وقال الذين أوتوا العلم فى كتاب الله والإيمان لقد لبثتم .

٥٨/٢١ / وقولُه : ﴿ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ . يقولُ : فيما كتَب اللَّهُ مما سبَق فى علمِه أنكم تَلْبثونه[(١)] . ﴿ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ ﴾ . يقولُ : فهذا يومُ يُبْعَثُ الناسُ مِن قبورِهم ، ﴿ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . [(٢)]يقولُ : ولكنكم كنتم لا تعلَمون[(٢)] فى الدنيا أنه يكونُ ، وأنكم مبعوثون مِن بعدِ الموتِ ، فلذلك كنتم تكذِّبون .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : فيومَ يُبْعَثون مِن قبورِهم ﴿ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ ﴾ . يعنى المُكذِّبين بالبعثِ فى الدنيا ، ﴿ مَعْذِرَتُهُمْ ﴾ : وهو قولُهم : ما علِمْنا أنه يكونُ ، ولا أنَّا نُبْعَثُ . ﴿ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ . يقولُ : ولا هؤلاء الظَّلَمةُ يُسْتَرْجَعون يومَئذٍ عما كانوا يكذِّبون به فى الدنيا .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : ولقد مَثَّلْنا للناسِ فى هذا القرآنِ مِن كلِّ مَثَلٍ ؛ احْتجاجًا عليهم ، وتَنْبيهًا لهم على وحدانيةِ اللَّهِ . وقولُه : ﴿ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ ﴾ . يقولُ : ولئن[(٣)] جئتَ يا محمدُ ، هؤلاء القومَ ﴿ بِـَٔايَةٍ ﴾ . يقولُ : بدَلالةٍ على صدقِ ما تقولُ - ﴿ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴾ . [(٢)]يقولُ : ليقولَنَّ الذين جحَدوا رسالتَك ، وأنكَروا نُبُوَّتَك : إن أنتم أيُّها المُصَدِّقون محمدًا فيما أتاكم به ﴿ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴾[(٢)] فيما تَجيئوننا به مِن هذه الأمورِ .

---

(١) فى ت١ ، ت٢ : « تكتبونه » .

(٢ - ٢) سقط من : ت٢ .

(٣) فى ت٢ : « لو » .

[٢/٥٩٥و] **القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى :** ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : كذلك يختِمُ اللَّهُ على قلوبِ الذين لا يعلَمون حقيقةَ ما تأتيهم به يا محمدُ ، مِن عندِ اللَّهِ ، مِن هذه العِبَرِ والعظاتِ ، والآياتِ البيِّناتِ ، فلا يفقَهون عن اللَّهِ حُجَّةً[1] ، ولا يفهَمون عنه ما يَتْلُو عليهم مِن آيِ كتابِه ، فهم لذلك فى طُغْيانِهم يَتَرَدَّدون .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : فاصبرْ يا محمدُ ، لِما ينالُك مِن أَذاهم ، وبلِّغْهم رسالةَ ربِّك ، فإن وعدَ اللَّهِ الذى وعَدك ، مِن النصرِ عليهم ، والظَّفَرِ بهم ، وتَمْكينِك وتمكينِ أصحابِك وتُبَّاعِك فى الأرضِ - حقٌّ ، ﴿ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ / ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ . ٥٩/٢١
يقولُ : ولا يَسْتَخِفَّنَّ حِلْمَك ورأيَك هؤلاء المشركون باللَّهِ ، الذين لا يوقِنون بالمعادِ ، ولا يصدِّقون بالبعثِ بعدَ المماتِ ، فيُثَبِّطوك عن أمرِ اللَّهِ ، والنفوذِ لِما كلَّفك مِن تبليغِهم رسالتَه .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ ، عن علىِّ بنِ ربيعةَ ، أن رجلًا مِن الخوارجِ قرَأ خلفَ علىٍّ ، رضِى اللَّهُ عنه : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٥] . فقال علىٌّ : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ .

---

(١) فى ت١ : « حججه » .

قال : ثنا يحيى بنُ آدمَ ، عن شَرِيكٍ ، عن عثمانَ بنِ أبى زُرْعةَ ، عن علىٍّ بن[1] ربيعةَ ، قال : نادَى رجلٌ مِن الخوارجِ عليًّا ، رضِى اللَّهُ عنه ، وهو فى صلاةِ الفجرِ فقال : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ . فأجابَه علىٌّ ، رضِى اللَّهُ عنه ، وهو فى الصلاةِ : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾[2] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ . قال : قال رجلٌ مِن الخوارجِ خلفَ علىٍّ فى صلاةِ الغَداةِ : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ . فأنْصَتَ له علىٌّ ، رضِى اللَّهُ عنه ، حتى فهِم ما قال ، فأجابَه وهو فى الصلاةِ : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾[3] .

آخرُ تفسيرِ سورةِ « الرومِ »

---

(١) بعده فى ت١ : « أبى » .

(٢) نقله ابن كثير فى تفسيره ٣٣٢/٦ عن المصنف .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣٣٢/٦ عن سعيد به ، وعزاه إلى المصنف وابن أبى حاتم .